بسم الله الرحمن الرحيم

Copyright© 2006 by Dar al-Nile & Işık Yayınları
First published in Arabic 2006
Originally published in Turkish by Kaynak Kitaplığı 2004
Copyright© 2005 by Turkish Ministry of Culture and Tourism
Copyright© for Turkish text by Hilmi Aydın

All rights reserved. No part of this book may be reproduced or transmitted in any form or by any means, electronic or mechanical, including photocopying, recording or by any information storage and retrieval system without permission in writing from the Publisher.

Published by Dar al-Nile,
Emniyet Mah. Huzur Sok. No:5 Üsküdar - Istanbul, TURKEY

Adress in Egypt
7, el-Barameka St, off al-Tayaran st. Al-Hay al-Saabi,
Nasr City Cairo, EGYPT
Phone & Fax : +202 2619204

www.daralnile.com

Turkish Language Edition
Author Hilmi Aydın
Editors Ahmet Doğru, Talha Uğurluel

Arabic Language Edition
Translation to Arabic Mehmet Savaş
Editor Nevzat Savaş
Literatur Editor Edib Ibrahim al-Dabbagh

Art Director Engin Çiftçi
Design and Layout Murat Arabacı
Photographer Bahadır Taşkın
Calligraphy Süleyman Berk

Printed by
Ege Basım & Hızır Reklam / Istanbul

ISBN
975-315-203-5

www.thesacredtrusts.com

آثارُ الرّسُولِ ﷺ

فِي جَنَاحِ

الأمانات المُقدّسة

فِي مُتحَفِ قَصْرِ طُوبْ قَابِي بِإِسْطَنْبُولْ

آثار الرسول ﷺ

في جناح

الأمانات المقدسة

في متحف قصر طوب قابي بإسطنبول

حلمي أيدين

المترجم: محمد صواش

الفهرست

تقديم (بقلم: فضيلة الأستاذ محمد فتح الله كولن) ر

مقدمة المؤلف ض

جمع الأمانات المقدسة في قصر طوب قابي

حمع الآثار النبوية والأمانات المباركة في قصر قوب قابي ٤

جناح الأمانات المقدسة وأقسامه

دائرة البردة النبوية الشريفة أو جناح الأمانات المقدسة ١٦
قاعة النافورة (شادِرْوان) ٢٠
الحجرة الخاصة ٢٢
حجرة مناديل البردة (دَسْتِمال) ٣٠
قاعة العرض (عرض خانه) ٣٢
خزانة الأمانات (خزانة السلاحدار) ٣٢
دائرة بردة السعادة وزيارتها في شهر رمضان المبارك ٣٤
تلاوة القرآن الكريم في دائرة البردة الشريفة ٤١
أمام جثمان السلطان عبد الحميد الثاني ٤٤

الأمانات المقدسة

بردة السعادة ٥٣
قصيدة البردة لكعب بن زهير ﷺ ٦٧
اللواء الشريف (لواء السعادة) ٧٠
العُقاب: ذكرى عزيزة من رسول الله ﷺ ٧٤
احتفالات إخراج اللواء الشريف ٧٧
اللواء الشريف في مواجهة الثوار ٨٠
في الحجرة الخاصة في جوار بردة السعادة ٨٢
النُسَخ الأولى للمصحف الشريف ورسائل النبي ﷺ إلى الأقاليم ٨٧
مصحف عثمان بن عفان ﷺ ٩١
آية كريمة بخط سيدنا عثمان بن عفان ﷺ ٩٤

الرسالة التي بعثها الرسول ﷺ إلى المقوقس عظيم القبط ٩٦
الرسالة التي بعثها الرسول ﷺ إلى أمير الإحساء المنذر بن ساوى ٩٨
رسالة الرسول ﷺ إلى مسيلمة الكذاب ٩٩
رسالة النبي ﷺ إلى الحارث بن أبي شَمِر الغسّاني ١٠٠
خاتم السعادة ١٠١
اللحية الشريفة ١٠٢
أثر القدم الشريفة ١١٤
نعل السعادة ١٢٦
أنواع النعل الشريف ١٣٠
القدح الشريف ١٣٣
قوس الرسول ﷺ ١٣٦
حجر التيمم ١٣٩
رباعية السعادة ١٤١
ماء غسل النبي ﷺ ١٤٢
عَنَزَة رسول الله ﷺ ١٤٣
عصا سيدنا موسى عليه السلام ١٤٦
طنجرة (قِدْر) سيدنا إبراهيم عليه السلام ١٤٨
عمامة سيدنا يوسف عليه السلام ١٥١
ذراع سيدنا يحيى عليه السلام وجمجمته ١٥٢
مفاتيح الكعبة وأقفالها (المفتاح الشريف) ١٥٤
محفظة الحجر الأسود ١٦٤
مصراع باب التوبة ١٦٧
ميازيب سطح الكعبة المعظمة ١٦٩
آثار مباركة جاءت نتيجة الترميمات ١٧٣
كسوة الكعبة المعظمة والقبر النبوي الشريف ١٧٧
أكسية قبور الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ١٨٩
تراب قبر النبي ﷺ ١٩١
الغبار الشريف أو جوهر السعادة ١٩٢
تراب الشفاء من المدينة المنورة ١٩٤
مراوح من نخيل المسجد النبوي ١٩٥
زجاجات ماء زمزم ١٩٨
الحنطة المباركة ١٩٩
مجسم المسجد النبوي ٢٠٠

مجسم مسجد قبة الصخرة ٢٠١
دَسْتمال (مناديل البردة الشريفة) ٢٠٢
قميص فخر النساء فاطمة الزهراء رضي الله عنها ٢٠٤
بردة فاطمة الزهراء رضي الله عنها ٢٠٧
سجادة فاطمة الزهراء رضي الله عنها ٢٠٩
نقاب فاطمة الزهراء رضي الله عنها ٢١١
صندوق فاطمة الزهراء رضي الله عنها ٢١٣
غطاء أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ٢١٥
قميص سيد الشهداء الحسين بن علي رضي الله عنهما ٢١٦
قطعة من بردة سيدنا الحسين ﵁ ٢١٨
تراب كربلاء ٢١٨
قلنسوة أويس القرني ﵁ ٢٢١
بردة الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان ٢٢٣
طاسا مولانا جلال الدين الرومي ٢٢٥
نعل الشيخ عزيز محمود خدائي ٢٢٦
تراب من قبر السيد أحمد الرفاعي ﵁ ٢٢٧
تيجان بعض المشايخ وقلانسهم ٢٢٩
اللوحات الخطية ٢٣٠
حِلية السعادة الذهبية ٢٣٦
القميص المطلسم وحاجيات عليها كتابات مباركة ٢٣٨
حاجيات استخدمت في الحجرة الخاصة ٢٤٦
الأمانات المنقولة من المدينة المنورة إلى إسطنبول أثناء الحرب العالمية الأولى ٢٥٥
وردة المدينة المنورة ٢٥٧
الكتب ٢٦٥
عريضة السلطان عبد العزيز إلى صاحب الروضة المطهرة ٢٦٧

السيوف المباركة

السيوف المباركة ٢٧٠
السيف النبوي ﷺ ٢٧٣
السيف النبوي ﷺ ٢٧٧
سيف داوود ﵇ ٢٨١
اللوحة النحاسية العائدة لسيف داوود ﵇ ٢٨٥
سيف أبي بكر الصديق ﵁ ٢٨٦

سيف عمر بن الخطاب ﷺ ٢٨٦
سيف سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ ٢٨٨
سيف سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ ٢٩٠
سيف سيدنا عثمان بن عفان ﷺ ٢٩٢
سيف سيدنا عثمان بن عفان ﷺ ٢٩٥
سيف سيدنا علي بن أبي طالب ﷺ ٢٩٦
سيف سيدنا عثمان بن عفان ﷺ ٢٩٦
سيف كاتب رسول الله، أبي الحسن ﷺ ٢٩٩
سيف عمار بن ياسر ﷺ ٣٠٠
سيف جعفر بن أبي طالب ﷺ ٣٠٣
سيف خالد بن الوليد ﷺ ٣٠٥
سيف خالد بن الوليد ﷺ ٣٠٩
سيف خالد بن الوليد ﷺ ٣١١
سيف خالد بن الوليد ﷺ ٣١٢
سيف زين العابدين بن الحسين رضي الله عنهما ٣١٥
سيف الزبير بن العوام ﷺ ٣١٧
سيف أحد الصحابة ﷺ ٣١٨
سيف أحد الصحابة ﷺ ٣٢٠

سيوف الصحابة ﷺ في قسم السلاح

سيوف الصحابة ﷺ في قسم السلاح ٣٢٢
سيف سيدنا عثمان ﷺ ٣٢٥
سيف سيدنا عثمان ﷺ ٣٢٦
سيف سيدنا عثمان ﷺ ٣٢٨
سيف معاذ بن جبل ﷺ ٣٣٠
سيف معاذ بن جبل ﷺ ٣٣٢
سيف سعيد بن عبيدة الأنصاري ﷺ ٣٣٤
سيف ضرار بن الأزور ﷺ ٣٣٦

تقديم

بقلم: فضيلة الأستاذ محمد فتح الله كولن

نحن نرى أن الماضي والحاضر والمستقبل أبعاد مختلفة لحقيقة واحدة. وعندما نشعر بأبعاد الزمن هذه ونحس بمذاقها، نعيش فيها معاً، ونتذوق رحيقها في آن واحد. ولا سيما الماضي، فإننا حينما نرى آثارا تذكرنا بجذورنا الروحية وهويتنا الأصيلة تتحرك لدينا الخواطر والتداعيات ويزداد إحساسنا بالماضي عمقا، فتمتلئ أشرعة حاضرنا برياح العزم والجهد والثبات، فنبحر نحو آفاق المستقبل الباسم بالأمل.

أجل، ما أن نعثر على بعض الآثار العزيزة على قلوبنا من الماضي الجميل حتى نقبل عليها فرحين، ونتناولها كما نتناول باقة من الورد، نشم رائحتها الزكية، ونملأ أعيننا بجمالها، ونقبلها بإجلال عميق، ونجعلها تاج رؤوسنا؛ فإذا بها تثير في نفوسنا خواطر من الماضي البعيد، فتتجلى صفحات التاريخ أمام أعيننا ناصعة، ونرنو إلى مشاهدها الجميلة حالمين، ونشعر كأننا نعيش الأيام التي كانت تلك الآثار فيها ملء العين والقلب، وموضع التقدير والتبجيل. ويبلغ بنا الإحساس بتلك الأشياء مبلغا تتراءى لنا فيه وكأنها أحياء تتحرك في سكون عميق وتتنفس في صمت. فنقرأ في ملامحها معاني عجيبة ودلالات خفية فنحبها... نعم نحبها وكأنها فلذة أكبادنا وجزء من أرواحنا. وكلما رأتنا مقبلين عليها بصدق وإخلاص أزاحت لنا الحجاب وفتحت لنا الأبواب وكشفت لنا عن السبيل المؤدية إلى أروع التصورات والرؤى وأجمل الخيالات والأحلام، ودعتنا إلى عصورها ضيوفا أعزاء مكرمين. فنلتقي في مكان واحد، نعانقها معانقة الصديق لصديقه والحبيب لحبيبه، وتعانقنا بدفء غامر، ويمتلئ المكان بمعان سامية عذبة، فنسرع إلى ارتشافها كأنها ماء الحياة، ونتنفسها كأنها أنفاس الربيع.

أجل، كلما أقبلنا عليها بقلوبنا، شعرنا وكأن رائحة شذية كالمسك والعنبر تسري في مسارب نفوسنا، وهي نفس الرائحة التي ينتشر عبقها الأصيل في المكان عندما تُفتَح صناديق جداتنا القديمة قدم الدهر. ويخيل إلينا عندئذ أننا في عالم عجيب من السحر، وأن تلك الآثار التاريخية تتحدث إلينا بأفصح ما يكون البيان، وتهمس إلى قلوبنا أسمى المعاني، دون أن تستخدم حرفا أو كلمة أو صوتا يستخدمه بنو الإنسان، فإذا بنا في نشوة غامرة لا نريد مفارقتها أو براحها.

وليست قيمة هذه الأشياء فيما تؤديه من منفعة عملية في الواقع، كما هو الحال بالنسبة لبعض الأشياء التي توزن قيمتها بميزان المنفعة الآنية؛ إنما قيمتها في المعاني العميقة التي تذكّر بها وتخبئها في طياتها وتشير إليها وتدعو لها. ومن ثم عندما ننظر إليها بعيوننا، ونتحسسها بأيدينا، نشاهد عليها إشارات من معتقداتنا السامية وخطوطا من ماضينا المجيد، فتنبسط أساريرنا، وتنشرح قلوبنا، ونحطم قيود زماننا الضيق محلقين في أجواء فسيحة وأمداء رحيبة فوق الزمان.

كلما نظرنا إلى تلك الآثار التاريخية التي أهلّت في ناحية من نواحي بيوتنا، أو ملأت أرجاء متاحفنا، تراءت لنا الآمال التي حملتها النفوس سابقا، والرؤى التي اختبأت وراء حجب الماضي، وإذا بنا نشاهد الأيدي وهي تلامس الآثار العزيزة بلطف، والأنوف وهي تشم رائحتها بعمق، وإذا بنا نراهم يتحولون بيننا أو نتحول بينهم في مكان واحد، فتخفق قلوبنا لهذا الإحساس.

إن هذه الآثار التاريخية مرآة صافية تحدثنا عن معتقدات أجدادنا النقية وإيمانهم العميق وثقافتهم المتسامحة وقيمهم العالية. فنقرأ في وجوه هذه الذكريات العزيزة أخلاق أسلافنا وأحلامهم وآمالهم؛ هؤلاء الرجال الذين نسكب اليوم دموعا غزيرة لغيابهم، ولا نجد ما نسرّي به عن همومنا سوى ذكرياتهم.

فما بالك إن كان بين هذه الذكريات ''البردة النبوية الشريفة'' التي تذكرنا بفخر الإنسانية عليه الصلاة والسلام، وبكعب بن زهير بن أبي سلمى ﷺ صاحب قصيدة ''بانت سعاد''، أو تذكرنا بسلاطين المسلمين الذين احتفظوا بها في أجمل مكان من قصورهم طوال قرون وقرون بإجلال كبير وتقدير عظيم حتى حطت رحالها في ديارنا؛ أو كان بينها اللواء الشريف ''العقاب'' الذي لازم رسول الله ﷺ طوال رسالته المباركة؛ أو كان بينها شعيرات من لحيته ﷺ المباركة والتي تَنافَس الصحابة الكرام فيما بينهم لكي لا يضيعوا شعرة واحدة منها، وقصاصات شعره المبارك التي تناقلتها الأيدي قرنا بعد قرن منذ عصر السعادة الأغر إلى يومنا هذا، وتناولتها القلوب جيلا بعد جيل كأنها باقات ورد جبية، وبـــجّلتها أيما تبجيل؛ أو كان بينها السيف المبارك الذي كان صاحب العمامة والقضيب ﷺ يتقلده في جميع الغزوات ولكن دون أن يؤذي أحدا أو يتلطخ بدم أحد؛ أو كان بينها رباعية السعادة التي فارقت أخواتها من اللآلئ المنتظمة في الفم المبارك كعقد الجمان، جراء ملامسة حصاة طائشة انطلقت حبًّا في ملامسة الياقوت أثناء إحدى الحروب؛ أو كان بينها العصا العزيزة التي كان يحملها صاحب العصا ﷺ؛ أو كان بينها القوس المبارك الذي ما رمى به عليه الصلاة والسلام سهما نحو إنسان في حياته السنية إلا مرة واحدة، وذلك ناحية رجل أتى بغية قتله ﷺ، فاستهدف القوسُ الشريف منه غير مقتل؛ أو كان بينها نقش ''القدم الشريفة'' الذي تسابق سلاطين الإسلام وملوكه ليتوّجوا به رؤوسهم...

وبالقرب من هذه الذكريات الميمونة كلها قدر إبراهيم عليه السلام، وعصا موسى عليه السلام، وعمامة يوسف عليه السلام، والسيف المهيب الذي صنعه داوود عليه السلام بنفسه، والسيوف المباركة العائدة إلى بعض الصحابة الكرام والعشرة المبشرين بالجنة، والمصحف الشريف الذي كان يتلوه سيدنا عثمان ذو النورين أثناء استشهاده...

إضافة إلى بردة الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان، وقلنسوة أويس القرني ﷺ، وتاج الشيخ عبد القادر الجيلاني، ومَحافظ الحجر الأسود الذهبية والفضية، وميازيب الكعبة الذهبية... أجل، ما بالك إن كان بينها أمثال هذه الودائع المباركة والأمانات المقدسة التي لا يعادل مُلكُ العالم كله قيمةَ واحدةٍ منها.

أجل، كل وديعة من هذه الودائع تثير في النفس ذكريات وخواطر كثيرة، إذ تحملُ معاني جليلة، وقدرا عظيما من الرفعة والسمو. فمن بحث لواحدة منها عن نظير، أو نقّب لها في البلاد عن مثيل فلن يجد لها نظيرا ولا مثيلا، فأنى له أن يقدّر ثمنها أو قيمتها مجتمعة.

وهناك أمر آخر لا يمكن أن نجد له مثيلا، وهو هذه العناية الخاصة التي أبداها أبناء أمتنا الأوفياء سلاطينَ ووزراء وعلماء وشعبا من اليوم الأول الذي شرّفت فيه أراضينا الطيبة. ففي اليوم الأول، ما أن حطت الأمانات الشريفة رحالها في إسطنبول حتى خصص لها السلطان أجمل مكان في قصره، وأحلّها إحلالا منقطع النظير حيث سمّى الجناح الذي نزلت فيه ضيفة كريمة ''دائرة بردة السعادة''، وملأ أركان الدائرة بنور قرآني فياض وحيوية إيمانية سامية من خلال تلاوة أفضل الحفاظ للقرآن الكريم بأصواتهم الندية... ومن ثم قدم نموذجا حيا باهرا في حب النبي والأنبياء عليهم الصلاة والسلام وصحبه الكرام.

ومنذ ذلك اليوم أصبح هذا المكان الطاهر، أي دائرة بردة السعادة أو جناح الأمانات المقدسة، ملجأ يأوي إليه المتيمون بحب رسول الله ﷺ باحثين عن الدفء والسكينة، متنفسين فيه أنفاس الربيع، مرتشفين ماء الحياة. نسأل المولى عز وجل أن يذكي هذا الحب في القلوب فتستمر صلة المحبين بهذه الدائرة المباركة إلى الأبد.

ولا يصح أن ننظر إلى الأمانات المباركة والزخارف الموجودة في هذا الجناح الميمون كأنها أشياء قديمة مزينة عادية لا تحمل أي معنى. أبدا... إذ أن الجناح برمته، بزخارفه التي تزين الجدران ومقتنياته الموضوعة هنا وهناك بعناية، يبدو للناظر الذواق كحديقة فيحاء صُمّمت تصميما فنيا دقيقا، ونُثرت عليها أزهار بديعة الجمال. لقد صممت الخطوط والأشكال الفنية بتناسب عجيب مع روح المكان إلى درجة تُشعرك وكأن كل شيء هنا خُطّط له مسبقا تخطيطا شاملا من قبل يد عُلوية. كل شيء هنا في موضعه المناسب، وهناك تناغم بين المكان والأشياء، بحيث لن تجد النشوة التي تحس بها والرائحة التي تشمها هنا في متاحف قديمة أخرى. إذ ما أن تلج الجناح المبارك حتى تشعر بأنك دخلت خلوة خاصة في عالم غير عالمنا، وأجواء غير أجوائنا، وحاورتَ ربانيين مقربين إلى الله سبحانه، فغرقت في سحر المكان وما أردت مغادرته أبدا. أجل، في هذه الدائرة التي تشع نورا، كلما أطل الإنسان إلى وجوه تلك الآثار التي لا تقدر بثمن، رأى كأن الزمان الذي يتدفق كالنهر في الخارج قد انكمش وتقلص وأُدخل في فانوس قديم، ووُضِع في زاوية من زوايا الحجرة المباركة؛ وحينئذ ينجذب الإنسان إلى سحر المكان وينتشي بعذوبة روحانيته، ويذوب في بحر من الجمال الوردي السامي.

إن الإنسان الذي يوفَّق إلى استنشاق رائحة الجدران، واستشعار الروح الذي تَلبّسه المكان بحواس قلبه، يسمع أجمل الألحان الشعرية، ويتسامى على طبيعته وكأنه غارق في عالم من الأحلام؛ وتتفتح في جنان قلبه أزهار من المشاعر المتنوعة التي تسحر الناظر بألوانها وتسكره بعبقها الطاهر الشذي؛ فيشعر بنشوة عميقة وقد سرت في كيانه كله، وتنطبع البسمة على شفتيه، ويمتلئ صدره بأنفاس الفرح المقدس، ويقول ''لا شك أن هذا المكان صمّمته أيدي الملائكة، وهنا يكمن سر هذه الجاذبية وهذا السحر''.

إن الفارس الذي يشد رحاله إلى الخواطر التي تثيرها الأمانات المباركة في إطار هذه المعاني يرفرف نحو آفاق عجيبة، ويشعر بأنه يعيش في زمان آخر غير زمانه، وفي حياة أخرى غير حياته، وفي

مكان آخر غير هذا المكان. ويبدو له كأن زمانه الضيق ومكانه المحدود قد انفتقا عن زمان ومكان آخر. نعم هنا لا ينفع إلا الصمت... إذ السالك ما أن يرمي بنفسه في بحار الصمت، ويرفع أشرعته لرياح الخواطر والذكريات حتى يجد نفسه مبحرا في آفاق شاسعة من الشعر الجميل، مصغيا إلى الدويّ الصامت لأحداث ووقائع لا يسمع صداها إلا هو. ويتمثل كل أثر من الآثار المباركة وكأنه شخصية تاريخية ملؤها الدفء والحياة. إن كل شيء حوله في هدوئه العميق صديق مخلص قد فتح ذراعيه ليحتضنه بحب وحنان. ويخيل إليه لحظة أنه لو خطا خطوة صغيرة أخرى سيدلف إلى الزمن الذي وحدت فيه. وإلى أن يوقظه أحد من هذه الرؤيا الجميلة يبقى مستغرقا وسط هذه التجليات السامية والمشاهدات الرفيعة.

إن أبناء أمتنا الأوفياء قد عرفوا الأمانات المقدسة بهذه الأبعاد والمعاني الكريمة، وفهموها بهذا الفهم، فوفّوها حقها من التقدير والإجلال.

وما أن لاحت وديعة من تلك الودائع في آفاقنا حتى هيّجت مكنون حبنا لديننا الحنيف فأسرعنا إلى عالمه المضيء مرة بعد أخرى عبر القرون. ولقد كنا في كل نظرة إليها نجدد صلتنا بهؤلاء العظماء الذين تشير إليهم، ونحس بجلالهم في أعماق قلوبنا من جديد. وحتى في الفترات التي أصيبت فيها هويتنا الروحية بجروح، وتزعزعت مشاعر التبجيل للقيم الدينية... حتى في تلك الفترات لم تتأثر مكانة الأمانات المباركة في قلوبنا وظلت موضع احترام الجميع وتقديرهم دائما.

هذا، وبين أيدينا كتاب يتيح لنا فرصة الولوج إلى عالم الأمانات المباركة متى شئنا؛ والتحليق في أمجاد ماضينا العظيم مع كل صفحة نقلبها من صفحاته؛ وترتيب الرحلات إلى عصور أسلافنا الذين تدفقوا كأنهار من الأنوار في سبيل نشر النور والضياء في كل أرجاء الأرض؛ ألا وهو كتاب "آثار الرسول في جناح الأمانات المقدسة في متحف قصر طوب قابي بإسطنبول". ونحن على يقين بأنه في كل فقرة من فقراته أو صورة من صوره سيتحدث إلى القلوب المتفتحة بكلام عجيب، ويهمس إلى النفوس الموصولة بجذورها الروحية بألحان وترنيمات ساحرة. وليت شعري ما هي الإيحاءات البليغة التي سيلقيها في أعماق أعماقنا...

أتقدم بجزيل الشكر إلى السيد حلمي أيدين الذي أهدى هذه الموسوعة الثمينة إلى مكتبتنا الثقافية؛ مع إيماني العميق بأنها ستلعب دورا مهما في أن نحس بنبضات قلب ماضينا المجيد، ونضع البرنامج تلو البرنامج والخطة بعد الخطة مع النشاط الحثيث لاستثمار وقتنا الحاضر، وننطلق نحو مستقبل زاهر ينبض بالأمل. كما سيكون لها أثر كبير في خروجنا من أزماتنا المعقدة كلما أصغينا إلى نغمات الماضي الصامتة، وتكون لنا رفيقا وفيا في طريقنا الطويلة الملتوية، وبردا وسلاما علينا في صحرائنا الموحشة. وأهنئ دار النيل للطباعة والنشر التي بذلت كل ما في وسعها لإعداد الكتاب للنشر، وكذلك السادة الأفاضل طلحة أوغورلو إيل، وأحمد دوغرو، وأنكين جيفتجي، ومراد عربجي وإخوة أعزاء آخرين قدموا جهودا كبيرة في إخراجه وإيصاله إلى القارئ الكريم، ومن الله التوفيق.

مقدمة المؤلف

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله على جزيل عطائه، وأشكره شكر المعترف بمننه وآلائه، وأصلي وأسلم على صفوة أنبيائه، وآله وصحبه وأحبابه.

وبعد، فإن محبة الرسول ﷺ ملأت قلوب الصحابة الكرام، واستولت على مشاعرهم، وجرت منهم مجرى الدم في العروق؛ فبذلوا الجهد من أجل دعوته، وفدوه بأموالهم وأرواحهم؛ وإذا دخل عليهم تمثّلوا له قياماً، وإذا جلس تحلّقوا حوله لِحاماً، لا يفارقونه إلا لماماً، ولا يحولون نظرهم عنه أبدًا. ينصتون إلى أقواله ويتابعون كل أفعاله كي لا يفوتهم منه أدنى شيء، فضبطوا عنه أحكام دينهم وطبقوها في كل أعمالهم وشؤونهم. ومن شدة حبهم له حرصوا غاية الحرص على أن يتبركوا بقربه ويتنافسوا على امتلاك ما كان من حاجياته، كلوائه الشريف وسلاحه الذي تقلده، وكسوته التي ارتداها، ورباعيته التي كسرت في معركة أحد، وشعر رأسه المبارك ولحيته الشريفة، وعصاه التي كان يتوكأ عليها، وقدحه الذى شرب به الماء واللبن، حتى نعله الذي كان يلبسه... نعم، احتفظوا بتلك الأشياء كلها تبرُّكا وذكرى طيبة منه لهم وللأجيال التي تأتي على مر الدهور إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

وإذا أمعنا النظر في كتب الحديث الشريف نجد أنه ﷺ أذن لهم بهذا الصنيع، ولم يعترض على أي أحد منهم، وأنه صمت عندما تزاحم القوم على قطرات وَضُوئه، وعلى قطرات عرقه العطر الذي كان يتصبب من بدنه الطاهر، وحتى بردته الشريفة التي أهداها إلى كعب بن زهير ﷺ، والبردة الأخرى التي أرسلها مع بعض أصحابه إلى أويس القرني ﷺ والمحفوظة اليوم في مسجد "الخرقة الشريفة" بإسطنبول، وقصاصات شعره عليه الصلاة والسلام أثناء حجة الوداع... أجل، كل هذه الذكريات الجميلة حرص الصحابة الكرام رضوان الله عليهم أجمعين على حفظها أشد الحرص.

كما تم الحفاظ على آثار أخرى للرسول ﷺ والأنبياء العظام عليهم السلام، إضافة الى مقتنيات للصحابة الكرام، وأخرى لعظماء الإسلام تداولتها الأيدي جيلاً بعد جيل؛ وذكريات أخرى ادخرها الخلفاء

والأمراء في مختلف العصور، واعتبروها رمزا للخلافة والحكم؛ وذكريات تم وقفها للمساجد وتكايا الطرق الصوفية والمؤسسات الخيرية لتكون وسيلة تخفيف نار الشوق الملتهبة في قلوب العاشقين لرسول الله ﷺ.

وكتابنا هذا يتميز عن كتاب "الأمانات المقدسة" للسيد تحسين أوز الذي صدر عام ١٩٥٣ والذي احتوى على صور فوتوغرافية باللون الأسود والأبيض، بأنه أشمل وأضخم كتاب يصدر في هذا الموضوع منذ ذلك الوقت حتى اليوم. كما أن معظم الصور التي توجد في هذا الكتاب سيراها القارئ هنا لأول مرة، إذ أنه لم يحظ كتاب آخر بعرضها إلى اليوم. وقد تم أثناء إعداد الكتاب تتبع أكثر من ٦٠٠ أثر من الأمانات المباركة وقراءة بطاقاتها الواحدة بعد الأخرى للوصول إلى المعلومات السليمة عنها. وجدير بالذكر أن الكتاب يتميز بعرضه بعض الآثار النبوية لأول مرة مثل النعلين السعيدين للنبي الأعظم ﷺ والقدح الشريف، وهو ما يدل على الكمية الهائلة التي يتضمنها متحف قصر طوب قابي من الأمانات المباركة والذكريات الجميلة.

نرجو لهذا الكتاب الذي نوقن أنه سيملأ فراغا كبيرا في موضوعه أن يكون وسيلة خير للأمة الإسلامية وأن ينال القبول والرضى، وهي رغبة طالما تمنيتها. كما أغتنم الفرصة فأضرع إلى الله تعالى أن يتغمد برحمته ورضوانه جميع أرواح الذين بذلوا جهودهم في حفظ الأمانات المباركة على مدى الأزمان سواء في جناح بردة السعادة في قصر طوب قابي أو في أماكن أخرى.

ولا أنسى أن أقدم جزيل شكري لكل من ساعدني في إخراج هذا الكتاب، ومنهم الصديقان العزيزان الدكتور سليمان برك، وشامل قوجور، والكاتب الباحث طلحة أوغورلو إيل. كما أشكر جميع المسؤولين في دار قيناق، وبالأخص السيدين الكريمين أنكين ججتجي ومراد عربجي اللذين سهرا على تصميم الكتاب وإخراجه بصورة فنية رائعة. كما أشكر السيدة فيليز جاغمان مديرة متحف قصر طوب قابي، والسيد بهادير طشقين الذي قام بعملية التصوير بصورة دقيقة وزملائي الآخرين في متحف قصر طوب قابي.

وأخص بالذكر والشكر الجزيل زميلي وصديقي الكاتب والباحث السيد أحمد دوغرو الذي قام بتحرير الكتاب باذلا كل معلوماته التاريخية والفنية بسخاء وتواضع، إضافة إلى السيد محمد فاتح جان صاحب مجلة التاريخ والفكر ورئيس تحريرها الذي أتحفني ببحوثه ومساعداته الكريمة. وأدين بالشكر إلى والدي وأستاذي السيد عبد الرحمن أيدين ووالدتي السيدة ملحات أيدين، وزوجتي وزميلتي السيدة إقبال أيدين، وأولادي نازليهان وأوغوزهان لتشجيعهم المعنوي ودعمهم المتواصل.

وإذ أختم كلامي أتمنى أن يملأ كتابنا هذا فراغا في تاريخ الفن الإسلامي ويسهم في تسليط الأضواء على جوانب مهمة في ماضي الأمة الإسلامية ويساعد الباحثين في مجال الفن الإسلامي على تطوير بحوثهم في هذا المضمار. والله ولي التوفيق.

حلمي أيدين

جمع الامانات المقدسة
في
قصر طوب قابي

جمع الآثار النبوية والأمانات المباركة في قصر قوب قابي

نقل المؤرخ العثماني سعد الدين أفندي عن أبيه حسن جان أن السلطان سليم الأول (١٥١٢-١٥٢٠ م) كان لا ينام أكثر الليالي بل يقضيها مع نديمه حسن جان بقراءة الكتب ومذاكرة القضايا العلمية. وفي إحدى الليالي استغرق حسن جان في نوم عميق فلم يستطع الحضور إلى منادمة السلطان. فلما برق الصباح وسطع الضوء مَثل بين يدي السلطان فقال له: ''هات يا حسن جان، قُصّ علينا الرؤيا التي رأيتها''. فتحيّر حسن جان ولم يفهم بادئ الأمر ما يقصده السلطان، وبعد برهة تبين أن صاحب الرؤيا ليس هو حسن جان هذا، بل كبير البوابين حسن آغا، وخلاصة الرؤيا هي كما يلي:

رأى حسن آغا في منامه أن باب القصر قد قرع في ساعة متأخرة من الليل. وعندما ذهب ليفتح الباب رأى جمعا كبيرا يتألف من رجال نورانيين مسلحين يرتدون أزياء عربية، يقفون أمام الباب وفي يد كل واحد منهم لواء، يتقدمهم أربعة رجال يحملون ألوية بيضاء كذلك، والشخص الذي قرع الباب يحمل اللواء السلطاني الأبيض. فتقدم لحسن آغا وقال له: ''هؤلاء الذين تراهم أصحاب رسول الله ﷺ. فقد أرسلنا رسول الله ﷺ إلى هنا، وإنه يقرئ السلطان سليم السلام ويقول له ''ليحضر فورا، فقد كلفناه بخدمة الحرمين الشريفين''. ونحن الأربعة الذين تراهم؛ هذا أبو بكر الصديق، وهذا عمر الفاروق، وهذا عثمان ذو النورين وأنا علي بن أبي طالب، اذهب إلى سليم خان وأخبره بهذا الأمر''.

عندما سمع السلطان سليم ما سمع احمرّ وجهه حياء، ودمعت عيناه سروراً، ونظر إلى حسن جان قائلا: ''ألم نقل لك إننا لا نقوم بشيء حتى نؤمر به، وأجدادنا من أولياء الله المقربين الصالحين، ولكن وللأسف نحن عجزنا عن بلوغ ما بلغوا إليه من الفضل والصلاح، نستغفر الله العظيم ونسأله التوبة''.

مدخل دائرة البردة الشريفة. في الوسط وفوق الباب تبدو كلمة التوحيد التي كتبها السلطان أحمد الثالث بخط يده. العبارة المكتوبة على يمين الباب على شكل طغراء: "مالك الدنيا السلطان الأمجد"، أما العبارة المكتوبة على الشمال: "خادم الشريعة السلطان أحمد". والزخارف الخزفية تعود إلى القرن الثامن عشر الميلادي.

لا اله الا الله محمد رسول الله

وعلى أثر ذلك أمر السلطان سليم بإعداد العدة، وانطلق بالجيش العثماني ناحية مصر، ومن ثَم دخلت مصر والحجاز تحت حكم العثمانيين، وسُجّل ذلك رسميا يوم الجمعة ٢٠ شباط/فبراير عام ١٥١٧م في جامع الملك المؤيد بالقاهرة، حيث أُلقيت الخطبة باسم السلطان سليم خان. والأمر العجيب الذي حصل في ذلك اليوم أن خطيب الجمعة لما ذكر اسم الخليفة الجديد ووصفه "بحاكم الحرمين الشريفين" قاطعه السلطان قائلا "حاشا حاشا! أنا لست حاكم الحرمين، بل خادم الحرمين الشريفين". وبعض الروايات تقول بأن هذه الحادثة لم تكن في القاهرة بل في حلب الشهباء في الجامع الكبير أو في الشام في جامع الملك الظاهر.

وجدير بالذكر أن السلطان سليم الأول لم يستلم إدارة حرم الله مكة، وحرم رسول الله المدينة عنوة، بل لما التحقت مصر بالدولة العثمانية كان أمير مكة آنذاك الشريف بركات، فبعث بآثار رسول الله ﷺ والأمانات المباركة ومفاتيح مكة المكرمة والمدينة المنورة مع نجله أبي نُمَي إلى السلطان سليم ليعلن له الولاء.

ولما وصل أبو نُمي إلى القاهرة في ٣ تموز/يوليو ١٥١٧ م يوم الجمعة استُقبل باحتفال رسمي، وأكرمه السلطان إكراما بالغا وأنزله منــزلا حسنا، كما ترك شريف مكة في منصبه، وأهداه قفطانا ثمينا اعترافا بفضله ومكانته. ومنذ ذلك اليوم أصبحت الحجاز من أعظم ولايات الدولة العثمانية.

وحري بالذكر أن العَلَم العثماني لم يرفع في مكة المكرمة والمدينة المنورة قرونا طويلة إجلالا للكعبة المعظمة ولسيدنا محمد رسول الله ﷺ نبي الرحمة. ولكن بعد عصور وفي عهد السلطان عبد العزيز ولأسباب دبلوماسية تم رفع العلم العثماني في المدينة المنورة، وفي عهد السلطان عبد الحميد الثاني في مكة المكرمة؛ ولكن أبقيت الحجاز تحت إدارة أمراء من أهل بيت الرسول ﷺ كما كانت سابقا، إلا أن تعيين أمراء مكة والمدينة كان يتم في عاصمة الخلافة إسطنبول. وكان السلطان يرسل إلى الأمراء مساعدا من إسطنبول يدعى بـــ "المحافظ" وليس " الوالي" احتراما لمكانة الحرمين الشريفين.

ولما عاد السلطان سليم من مصر، أتى بالمقتنيات النبوية الشريفة والأمانات المباركة الموجودة في خزائن المماليك والعباسيين وأمراء الحجاز إلى إسطنبول، ووضعها في قصر طوب قابي. وينبغي التنبيه إلى أن الوثائق التي تمدنا بالمعلومات القاطعة عن كيفية اجتماع الأمانات المقدسة في صورتها الحالية في قصر طوب قابي ليست بالقدر الكافي.

يقول الرحالة العثماني المشهور "أوليا جلبي" في كتابه المعروف بـــ "أوليا جلبي سياحت نامه سي" (رحلات أوليا جلبي) حول هذا الموضوع:

"ذهب السلطان قانصو الغوري إلى الإسكندرية، وهيأ في المرفأ سفينة وضع فيها خزينته مع الأمانات المقدسة التي تتكون من ٥٠ قطعة لينطلق بها إلى شمال أفريقيا حسب اتفاق تم بينه وبين السلطان يعقوب في حال انهزامه أمام السلطان سليم، ولكنه قتل أثناء المعركة. والواقع أن السلطان سليم كان قد حاصر الإسكندرية بسبعمائة قطعة بحرية واستولى على سفينة السلطان قانصو الغوري بما فيها قبل بدء الحرب". وقد أحصى أوليا جلبي أسماء الأمانات المباركة التي كانت في السفينة

◀ لواء السلطان سليم الأول، طوب قابي، رقم: ٨٢٤/١

والتي نسبت إلى سيدنا رسول الله ﷺ وهي: اللواء الشريف، رباعيته (ﷺ) الشريفة، خصلة من لحيته المباركة، البردة الشريفة، العلم الأحمر، إبريق للوضوء من الحصير مزفت الداخل، مسبحة من عود الصنوبر، نعلان من شجر البَقْس، عصا من الخيزران، ثوب مطرز، سيف أسود، نطاق، غطاء، عمامة، طاقية بيضاء مطرزة.

ونقل المؤرخ التركي أحمد راسم في كتابه ''التاريخ العثماني'' أنه لما فتح السلطان سليم الأول مصر كان الخليفة العباسي المتوكل مقيما فيها. فدعاه السلطان إلى عاصمة الدولة العثمانية، ولما وصل إلى إسطنبول سلّم الخليفة المتوكل منصب الخلافة إلى السلطان سليم. وعقب ذلك أرسل أمير مكة الشريف أبو نُمي بن بركات الأمانات المقدسة الموجودة في مكة المكرمة إلى إسطنبول مقر الخلافة الجديد. وقد سجل أحمد راسم قائمة مفصلة للأمانات المباركة التي جاءت مع أبي نمي وهي: البردة النبوية الشريفة، الرباعية الشريفة، نعل السعادة، مقبض سيفه عليه الصلاة والسلام، قوسه ﷺ، اللواء الشريف، قدْر إبراهيم عليه السلام، سيف داوود عليه السلام، ميزاب الكعبة الذهبي، سيوف بعض الصحابة الكرام والخلفاء الراشدين، مفتاح الكعبة المعظمة، عمامة سيدنا يوسف عليه السلام، مصراع باب التوبة، عمامة أويس القرني، ومصحف سيدنا عثمان رضي الله عنه الذي كان يقرأه أثناء استشهاده وأشياء أخرى.

والواقع أن مصادر ذلك العهد لم تذكر أن السلطان سليم قد تسلّم الخلافة من العباسيين باحتفال رسمي، والحديث حول هذا الأمر بدأ فيما بعد. ومعروف أن السلطان سليم الذي تولى إمارة العالم الإسلامي وخدمة الحرمين الشريفين يومئذ، ما كان يحب التباهي بالألقاب ولا التفاخر بالمظاهر. كذلك لم يشأ أن يُنظَر إلى حفظه للأمانات الشريفة كدليل على الخلافة أو رفعة المقام، بل تعبيرا عن حرصه الشديد وحبه الفائق لآثار الرسول ﷺ. ومن ثم جعلها جزءاً من حياته وأمر بوضعها في قصر طوب قابي في الجناح الذى يعيش فيه حفظا لها، وليكون أسوة حسنة لمن بعده من السلاطين في العناية بها على مر العصور والأزمان. وبعد عودته من مصر تجمعت جماهير غفيرة في الضفة الأوروبية من إسطنبول لاستقبال السلطان المظفر، فلما علم بذلك انتظر حلول الظلام، وعبر إلى الضفة الأخرى في وقت متأخر من الليل على متن زورق صغير، ودخل قصر طوب قابي سراً. أليس في هذا التصرف دلالة واضحة على تواضعه وبعده عن التفاخر والتباهي بمظاهر الحكم والسلطان؟!

وفى كتاب ''كنه الأخبار'' للمؤرخ الشهير في القرن السادس عشر مصطفى علي الكليبولي، لم يُذكَرْ إلا الإتيان باللواء الشريف من الشام إلى إسطنبول عام ١٥٩٤ م ووضْعُه في ''الحجرة الخاصة'' وعرضُه على الزوار، ولم يذكر أي معلومات إضافية عن بقية الأمانات.

ونقل مؤلف ''زبدة التواريخ'' في أوائل القرن السابع عشر أن الأمانات المقدسة الموجودة في ''الحجرة الخاصة'' هي كما يلي: اللواء الشريف، وبردة السعادة، وسيوفه ﷺ، وقوسه وسهامه، وسيف سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه وسجادته، وسيف سيدنا عمر رضي الله عنه وسهمه، وسيف سيدنا عثمان رضي الله عنه، وسيوف ساداتنا معاذ بن جبل، والزبير بن العوام، وخالد بن الوليد، وعمار بن ياسر، وشرحبيل بن حَسَنة، وأبو طلحة رضي الله عنهم أجمعين.

وفي كتاب "القوانين العثمانية ونظام الآستانة" يذكر أن جناح السلطان الخاص في القرن التاسع عشر كان يتكون من أربع حجرات، واحدة منها ذات قبة ومدفئة ويوجد فيها كرسي العرش وبردة السعادة ورباعيته الشريفة ﷺ وغير ذلك من الأشياء المباركة.

وقد استمر توارد الآثار النبوية الشريفة والمقتنيات المباركة على قصر طوب قابي وبطرق مختلفة ابتداء من عهد السلطان سليم الأول وحتى أوائل القرن العشرين، ولم يفتأ السلاطين العثمانيون يجمعون عندهم المقتنيات الخاصة بسيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وغيرها مما يخص كبار رجالات الإسلام حتى نهاية الدولة العثمانية.

كما يوجد الآن في قصر طوب قابي بعض المقتنيات المباركة التي أتت من المدينة المنورة عقب الحرب العالمية الأولى، وذلك أن محافظ المدينة المنورة "فخر الدين باشا" لما خاف الضياع على الأمانات المباركة والمقتنيات النفيسة الموجودة في الروضة المطهرة والتي كانت ترسل برفقة المحمل النبوي الشريف على مر العصور من العاصمة إسطنبول... لما خاف عليها الضياع بعث بها إلى إسطنبول في موكب كبير. وهي الآن في خزانة متحف قصر طوب قابي وفي أقسامه الأخرى.

وحاليا يوجد في متحف قصر طوب قابي في جناح الأمانات المقدسة ٦٠٥ قطع كما هو مسجل في قائمة المقتنيات الرسمية للمتحف. كذلك توجد بعض المقتنيات في أقسام أخرى مثل قسم الخزانة السلطانية وقسم السلاح والمكتبة وتعد ضمن الأمانات المباركة أيضا.

ويمكننا أن نذكر أسماء بعض الأمانات المباركة في متحف قصر طوب قابي في جناح الأمانات المقدسة فيما يلي:

البردة النبوية الشريفة، اللواء الشريف، نعل السعادة، القدح الشريف، اللحية الشريفة، سيوفه ﷺ، قوسه، رباعيته التي كسرت في معركة أحد، ترابُ تيمُّمه، الخاتم الشريف وغيرها من الودائع العائدة إلى رسول الله ﷺ، إضافة إلى قدر ينسب إلى سيدنا إبراهيم عليه السلام، وعمامة تنسب إلى سيدنا يوسف عليه السلام، وعصا منسوبة إلى سيدنا موسى عليه السلام، وسيف ينسب إلى سيدنا داوود عليه السلام، وشعرة من لحية سيدنا أبي بكر رضي الله عنه، والمصحف الذي كان يقرأ فيه سيدنا عثمان رضي الله عنه أثناء استشهاده، وسيوف بعض الصحابة، وقميص السيدة فاطمة الزهراء ونقابها، وبردة سيدنا الحسين وقطعة من بردته، وعمامته، وبردة الإمام الأعظم أبي حنيفة، وقلنسوة أويس القرني رضي الله عنه، وتاج الشيخ عبد القادر الجيلاني والإمام الشعراني، وأواني مولانا جلال الدين الرومي، وأشياء أخرى عائدة للأنبياء وأقارب سيدنا رسول الله ﷺ وكبار رجالات الاسلام، والميازيب الذهبية للكعبة المعظمة، وكذلك المَحافظ الفضية والذهبية للحجرالأسود، ومصراع باب التوبة، وأقفال الكعبة ومفاتيحها، وستائرها، وبعض القناديل والمباخر والمعطرات التي استعملت في الكعبة المعظمة والمسجد النبوي، وما استخدم في ترميم الكعبة من خشب، وحجر، وزجاج، وخزف وقطع أخرى؛ إضافة إلى أكسية قبر النبي ﷺ، وتراب من القبر الشريف، وغبار من الضريح المبارك الذي يسمى بجوهر السعادة وصناديق وأدراج وستائر وصرر وأشياء أخرى استخدمت في نقل الودائع المباركة المذكورة سواء من الكعبة المعظمة أو المسجد النبوي أو مصر.

إضافة إلى أغماد السيوف، ورحلات للقرآن الكريم، ومكانس كانت تستعمل في خدمة جناح الأمانات المقدسة وجواريف وشموع وخشب من شجر العود وصور خطية لخطاطين مشهورين أو للسلاطين، والحلية الشريفة، وسجادات، ومسابيح وطاسات من النحاس والفضة وقناديل وقلانس لبعض شيوخ الطرق الصوفية، وزجاجات لماء زمزم، وكذلك مصاحف مخطوطة ونُسَخ لسورة الأنعام، وقصص الأنبياء، وكتب فقه وتفسير ودلائل الخيرات وغيرها من المخطوطات التي نقلت إلى مكتبة البردة النبوية الشريفة في متحف طوب قابي وتباركت الأيدي التي نقلتها والقلوب التي حفظتها.

وما ذكر أعلاه من الذكريات الطيبة العائدة لسيدنا رسول الله ﷺ سميت بـ ''الأمانات''، أما العائدة للأماكن المباركة ولكبار رجالات الاسلام فسميت بـ ''التبركات''، وأطلق على مجموعها اسم ''الأمانات المقدسة'' أو ''الامانات المباركة''.

لما بدأ السلاطين العثمانيون بجمع الأمانات المباركة والحفاظ عليها وضعوها في أماكن خاصة من قصر الخلافة قصر طوب قابي مثل خزانة القصر، وخزانة السلاحدار، وقصر رَوان، والحرم الخاص، ولا سيما الدائرة التي تعرف بـ ''الحجرة الخاصة'' وهي الجناح الخاص بالسلطان. وبعد عام ١٨٠٨ م أمر السلطان محمود الثاني (١٨٠٨- ١٨٣٩ م) بتخصيص ''الحجرة الخاصة'' التي كانت الجناح الخاص بالسلطان منذ محمد الفاتح للآثار النبوية والمقتنيات المباركة الأخرى حصريا، ومن ثم عرفت بعد ذلك بـ ''دائرة البردة الشريفة'' أو ''جناح الأمانات المقدسة''.

وبعد انهيار الدولة العثمانية والإعلان عن جمهورية تركيا تم تحويل قصر طوب قابي إلى متحف في ٣ نيسان/أبريل عام ١٩٢٤؛ ولم يسمح لأحد بأن يتعرض إلى الأمانات المباركة بالأذى، بل تم الحفاظ على ''دائرة البردة الشريفة'' أو ''جناح الأمانات المقدسة'' وفقا للتقاليد المتعارف عليها سابقا. وكانت مفاتيح جناح الأمانات المقدسة في تلك الفترة موكولة إلى راسم أفندي كبير موظفي قسم الأمانات المقدسة في أواخر العهد العثماني. وبعد ثلاث سنوات، عندما رأى راسم أفندي أن نظام السلطنة قد انمحى وأن إدارة متحف القصر مخلصة في الحفاظ على المقتنيات المباركة وتعنى بشؤون القصر بصورة جيدة قرر أن يسلم المفاتيح إلى ''تحسين أوز'' مدير المتحف آنذاك. الأمر الذي أتاح الفرصة لفتح المحافظ التي كانت مقفولة منذ سنوات، وإخراج ما فيها من الصرر المكدس بعضها فوق بعض، وفتحها واحدة بعد الأخرى، والكشف عن الآثار المباركة التي لم يكن يتمكن الخدام من تنظيفها إلا من الخارج، إضافة إلى إحصائها وتسجيلها كاملة في قوائم الجرد العائدة لمتحف قصر طوب قابي؛ كما سجلت المعلومات التي عثر عليها مكتوبة فوق المقتنيات وبطاقات الآثار وصنفت في جداول خاصة. وأخيرا ولأول مرة في ٣١ أغسطس ١٩٦٢ تم فتح جناح الأمانات المقدسة للزوار في إطار المفهوم المعاصر للمتاحف الحديثة بعد أن كان مغلقا لخصوصية ما يتضمنه من آثار كريمة وذكريات طيبة.

يقول المرحوم ''تحسين أوز'' في كتابه ''الأمانات المقدسة'' الذي نشر عام ١٩٥٣:

''رغم مرور مئات السنين حافظت الأمانات المقدسة على وجودها وأصالتها؛ وما ذلك إلا لعمق

لوحة خطية كتبها السلطان محمود الثاني بخط يده، وهي الآية التي تكتب غالبا على محاريب المساجد. طوب قابي، رقم: ٢١/٢٣٦

إيمان أهل هذا الدين، حتى أصبحت كنزاً حقيقياً، جمعته الأيدي الطاهرة والقلوب النقية، قطعة بعد قطعة. ولم تُجمع تلك الأمانات المباركة لتكوّن رابطة دينية ومنظومة إيمانية بين أبناء الأمة الإسلامية فحسب، بل لأنها تحتوي على ذكريات جميلة يصعب على الزمان محو تأثيرها من العقول والقلوب. فهي شواهد ووثائق على تاريخنا المجيد وكنز ثمين في الفن الإسلامي؛ ومن ثم جدير بها أن تنال الأهمية العظمى على المستوى العالمي. ولذلك أولاها سلفنا الصالح من الشعوب الإسلامية والشعب التركي اهتماما خاصا، ووقروها أعظم توقير حتى وصلت إلى عصرنا، وستبقى مكانتها الرفيعة وقيمتها العالية في القلوب إلى يوم الخلود''.

هذا وقد تم الاهتمام بالأمانات المباركة منذ تأسيس الجمهورية التركية حتى اليوم أشد الاهتمام كما فعل أجدادنا في التاريخ، وتم تسجيل كل ما يتعلق بها في قوائم الجرد والمقتنيات التابعة لمتحف قصر طوب قابي. وحتى الأشياء التي استعملت يوما ما في ''الحجرة الخاصة'' لأغراض مختلفة مثل المكانس، والرفوف، والشموع، والشمعدانات، والمعاطر، والمباخر، والساعات، ورحلات القرآن الكريم، والوسائد وغيرها، وضع عليها أرقام وسجلت في سجلات المتحف لكي تبقى إلى يومنا هذا وإلى الأجيال القادمة.

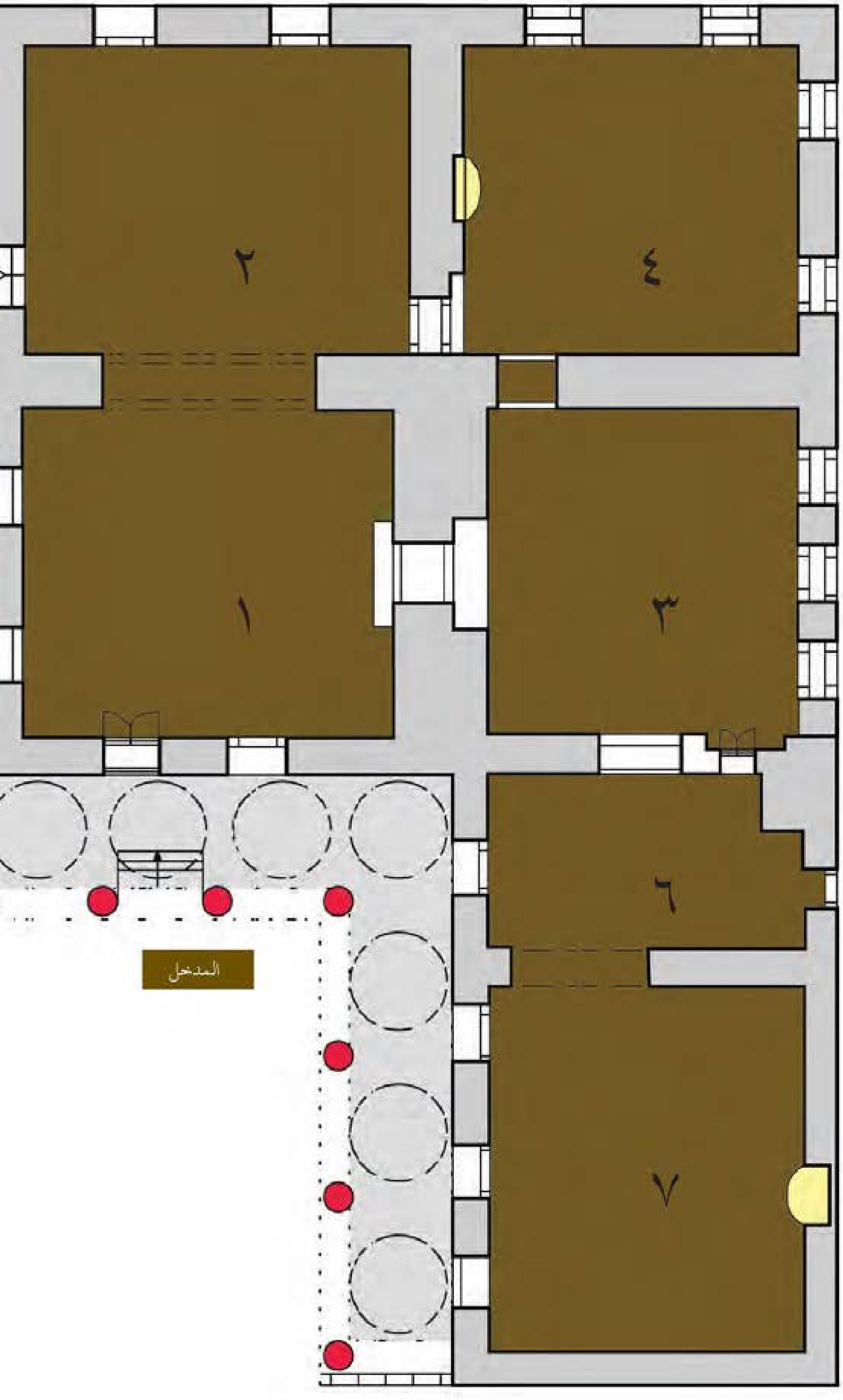
٢
٤
١
٣
٦
المدخل
٧

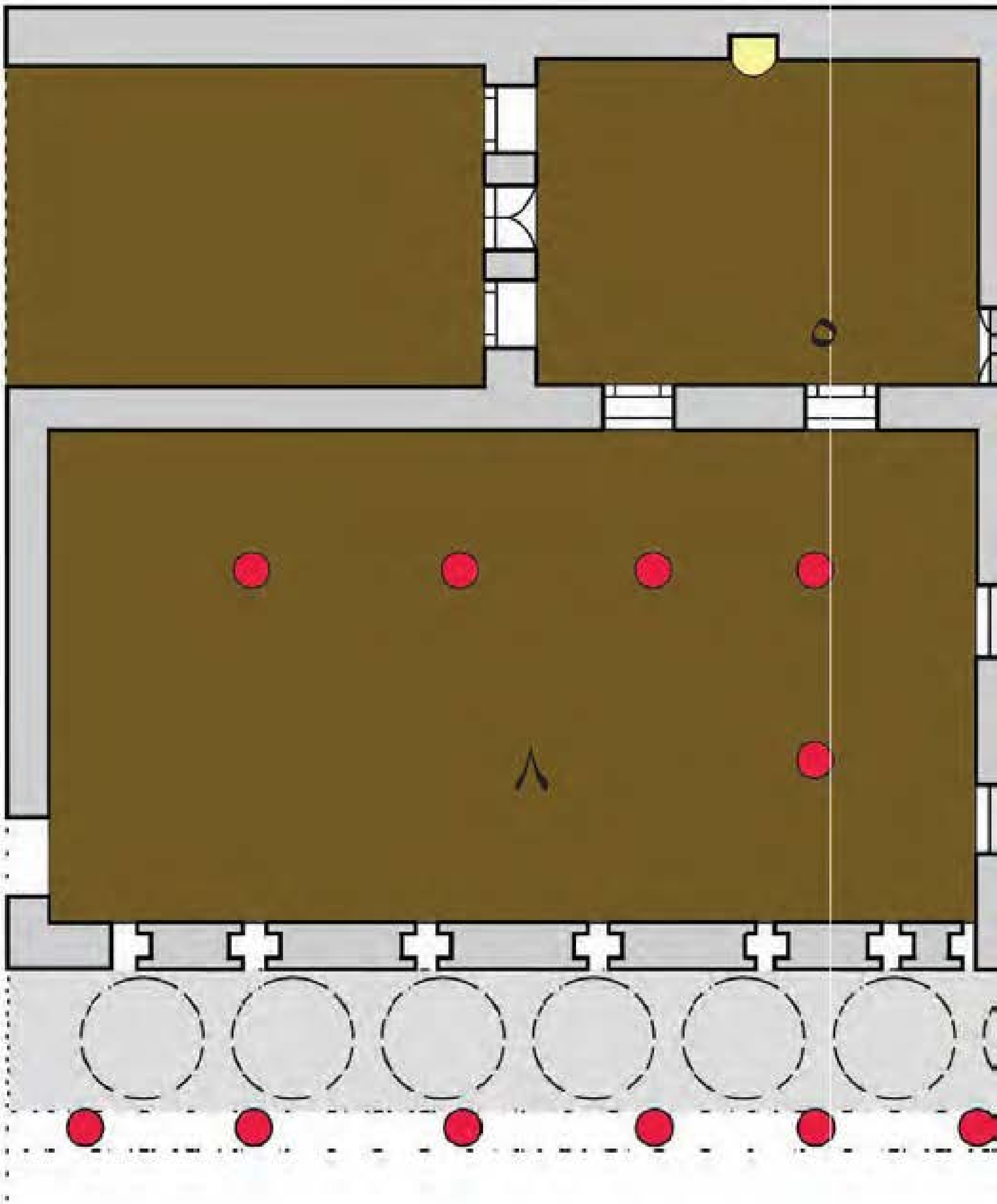

مخطط جناح الأمانات المقدسة.
الحجرة الخاصة أنشئت في عهد السلطان محمد الفاتح لتكون دائرة السلطان الخاصة.
(١-٢) الحجرتان اللتان تقعان في المدخل معروفتان بـ "قاعة النافورة".
(٣) الحجرة الأولى التي تقع على يمين المدخل هي "قاعة العرض" التي يستقبل فيها الضيوف.
(٤) الحجرة التي تقع في الزاوية هي الحجرة الخاصة التي يوجد فيها بردة السعادة وكرسي العرش.
(٥) على شمال قاعة النافورة توجد حجرة مناديل البردة (دستمال).
(٦-٧) يمكن العبور من قاعة العرض إلى خزانة السلاحدار.
(٨) في القرن التاسع عشر أغلق قسم الأروقة الذي كان أمام المبيت، وأنشئ مبنى جديدا لخدام الأمانات المقدسة.

جَناح

الأَماناتِ المُقَدَّسَة

وَأَقسامه

دائرة البردة النبوية الشريفة أو جناح الأمانات المقدسة

المنصة التي تقع إلى شمال مدخل دائرة البردة الشريفة أنشئت في القرن السادس عشر، وهي المكان الذي كان يوضع عليه نعش السلطان عند الوفاة حيث يتم الترحم عليه. وفي إحدى زواياه بئر مغطاة كان يستفاد من مائها في تنظيف الحجرة الخاصة؛ وفيما بعد استعملت لحفظ كناسة جناح الأمانات المقدسة والأغبرة العالقة عليها إجلالا لصاحب الأمانات المباركة عليه الصلاة والسلام.

أُنشئ هذا القسم في عهد السلطان محمد الفاتح (ـ١٤٥١ ١٤٨١ م) تحت اسم ''الحجرة الخاصة''، وكان السلطان يقيم في هذا المكان حيث يوجد عرش السلطنة، ويتولى إدارة بعض شؤون الدولة ويؤدي صلاته وعبادته. وكان عدد خدام الحجرة الخاصة (دائرة البردة الشريفة) أربعين، ٣٩ منهم من الضباط ذوي الرتب العالية المرافقين للسلطان على الدوام، والشخص الأربعون هو السلطان نفسه. وعندما بدأ السلاطين يستخدمون القصور المطلة على البوسفور مكانا لإقامتهم بعد عام ١٨٠٨ م، تم تخصيص هذا الجناح لحفظ الأمانات المقدسة وعرف باسم ''دائرة البردة الشريفة'' أو ''جناح الأمانات المقدسة''.

مساحة الدائرة ٢٣×٢٣ متر مربع، وتتكون من أربعة أقسام مسقوفة بأربع قبب. تنفصل الحجرات والقاعات عن بعضها بجدران سميكة. القسم الأول وهو مدخل الدائرة عبارة عن قاعة استقبال واسعة يتوسطها ''شادِرْوَان'' (نافورة) من الرخام تقع تحت القبة تماما، ولذلك تسمى قاعة الشادروان. الحجرة الأولى على يمين المدخل هي قاعة العرض (عرض خانه) حيث تعرض القضايا على السلطان، والثانية التي تقع في الزاوية هي ''الحجرة الخاصة'' أي قاعة العرش، والأخرى التي تقع في شمال قاعة الشادروان والتي تدعى اليوم بـ ''حجرة الدِّسْتِمال'' أي حجرة مناديل البردة هي حجرة خدام دائرة الحجرة الخاصة. يدخل من قاعة العرض (عرض خانه) إلى المكان الذي يعرف بـ ''خزانة السلاحدار'' أو ''خزانة الأمانات''. أما مدخل دائرة بردة السعادة والمعروف بباب النافورة حيث يؤدي إلى فناء ''الأندرون''، فقد تم ترميمه في عهد السلطان أحمد الثالث (١٧٠٣-١٧٣٠). وكان السلطان أحمد الثالث من مشاهير الخطاطين، فكتب كلمة التوحيد بنفسه على باب قاعة النافورة، وكتب على جانبي كلمة التوحيد مصراعين من الشعر على هيئة ''طغراء'' قال في الأول ''مالك الدنيا السلطان الأمجد''، وفي الثاني ''خادم الشريعة السلطان أحمد''، ونقش فوق هذه الكتابة بشكل طغراء صغيرة اسم السلطان أحمد الثالث.

وما أن تدلف إلى شمال باب قاعة النافورة قليلا حتى تجد منصة كبيرة من الرخام أمام قبة الرواق. على هذه المنصة كان يوضع نعش السلطان بعد وفاته ويتم نعيه والترحم عليه. إنه لذو مغزى عظيم أن تلتصق غرفة العرش مع منصة النعش. ويوجد في إحدى زوايا المنصة الرخامية بئر مغطاة؛ هذه البئر كانت تستعمل لوضع الغبار أو الكناسة التي تحصل أثناء تنظيف الحجرة الخاصة، أي أن السلاطين

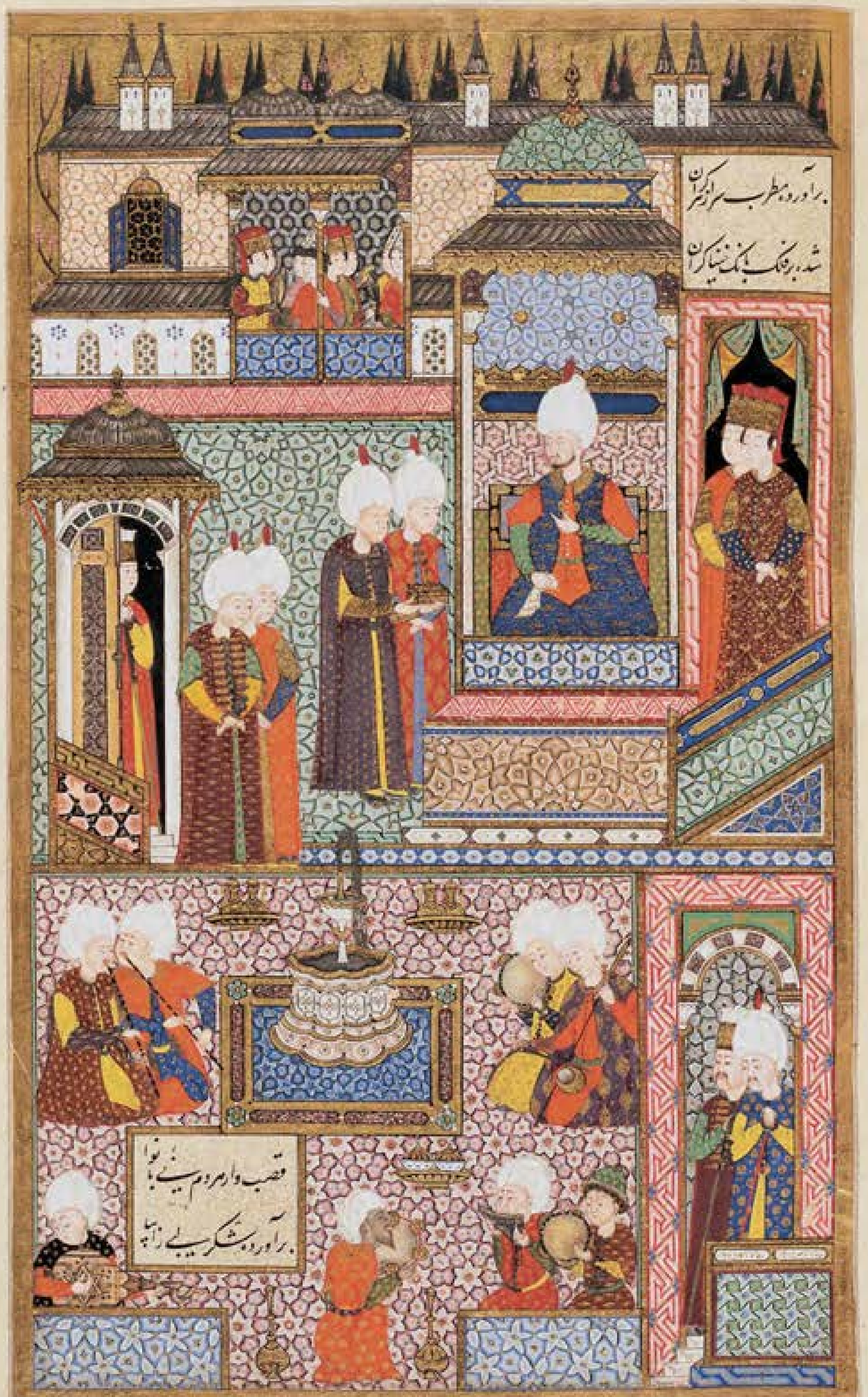

قاعة النافورة، سليمان لامه، القرن السادس عشر. طوب قابي، رقم: ه ١٢ ٤

لم يرضوا بإلقاء غبار دائرة البردة النبوية في القمامة إكراما للمكان الذي خرجت منه. كذلك ما أن تلتفت إلى الزاوية التي تقع إلى يمين باب النافورة حتى ترى هاون من الرخام وقد نقشت عليه كتابة بالفارسية. هذا الهاون كان يدق فيه مواد بخور بردة السعادة حسبما تقتضيه التقاليد. وفيما يلي وصف إعداد هذا البخور:

يوضع خشب العود في الهاون، ويدق مع غبار الفحم، ويسحقان حتى يصيرا كالكحل، ثم يعجن المسحوق بماء الورد، وتوضع العجينة في القوالب ليتم تفتيلها. أما مقادير البخور المفتول فهي كما يلي: درهم من العنبر، ٥ دراهم من العود، ١٥ درهما من اللبان، ٥ دراهم من النرجس، ٥ دراهم من ورق الآس، ٦ دراهم من اللادن، درهم كافور، ٣ دراهم أترج، قليل من المسك، ٨ دراهم من السكر، وكمية كافية من فحم الصفصاف. وكانت العادة أنه حينما يأتي السلطان إلى قسم بردة السعادة يأخذ رئيس الكتاب بالمبخرة، وفيها البخور، ويمشي إلى جانب السلطان لتفوح في الأرجاء رائحة شذية.

الهاون الذي يقع في الزاوية وعلى يمين مدخل دائرة البردة الشريفة مصنوع من المرمر. كانت المواد العطارية ذات الروائح الزكية مثل العنبر والعود تدق فيه، ويصنع منها أقراص تستخدم في المباخر، أو يصنع منها شموع توضع في شمعدانات خاصة. وعندما تشعل تنشر رائحة شذية في أرجاء جناح الأمانات المقدسة.

قاعة النافورة (شادِروان)

كان من عادات التبجيل والتقدير غسل اليدين في النافورة قبل الدخول إلى دائرة بردة السعادة حتى لا يدخل الغبار من الخارج.

في هذا القسم قبتان تحت إحداهما نافورة من الرخام. وكان الموظفون الذين انتخبوا لخدمة الدائرة يتوضؤون من ماء النافورة ويصلون أوقاتهم أحيانا فوق مصطبة توجد في القاعة؛ كما يغسلون أيديهم قبل دخولهم إلى القسم حتى لا يدخلوا الغبار إليه من الخارج احتراما وتبجيلا للمكان.

ويوجد في كل من قبتي قاعة النافورة (الشادروان) فوانيس للإضاءة، كما توجد في كل غرف البناء. وفيما بعد فتحت في أعالي القبب نوافذ للإضاءة، ولكن بسبب بعض الإضافات الجديدة أصبحت تلك النوافذ معدومة الفائدة. أبواب هذا القسم ونوافذه الخشبية، وأبواب قاعة العرض (عرض خانه) وحجرة مناديل البردة (دَسْتمال)، كلها قديمة قدم البناء. لقد نقش على الأبواب بالنقوش الخشبية اسم السلطان محمد الفاتح، والباب الذي يدخل منه إلى الحجرة الخاصة مزين بالصدف. وفي أوائل القرن العشرين أدخلت على الباب بعض التعديلات من قبل المصدِّف واصف أفندي. ويلاحظ فوق الباب رباعية بالفارسية لمولانا جلال الدين الرمي معناها بالعربية:

كل الأبواب مغلقة،
ولم يبق للغرباء باب مفتوح، إلا بابك،
يا باب العز والكرم، يا باب النور الساطع،
الشمس والقمر والكواكب والنجوم،
كلها عبيد بين يديك...

جدد رخام الباب والنافذة اللذين يوجدان خلف المصطبة الحجرية أثناء التعديلات زمن السلطان محمود الثاني (١٨٠٨-١٨٣٩)، كما زينت جدران القاعة بالخزف الملون الذي يعود تاريخه إلى أواسط القرن السادس عشر. وفي تاريخ ١٩١٦ وأثناء الترميم أيضا أضيفت بلاطات خزفية جديدة على جدران القاعة؛ وفي نفس التاريخ تم زخرفة القبة وتزيينها بأيدي فنيين مهرة بصورة تنسجم مع زخرفة الجدران.

باب الحجرة الخاصة من صنع الصداف واصف أفندي. كتب على مصراعي الباب أبيات لمولانا جلال الدين الرومي والتي يقول فيها: كل الأبواب مغلقة / ولم يبق للغرباء باب مفتوح إلا بابك / يا باب العز والكرم، يا باب النور الساطع / الشمس والقمر والكواكب والنجوم / كلها عبيد بين يديك.

الحجرة الخاصة

سابقا كانت حُجرةَ العرش السلطاني، ثم خصصت لآثار الرسول ﷺ اعتبارا من عهد السلطان محمود الثاني.

الحجرة الخاصة هي أهم مكان في دائرة البردة الشريفة؛ وارتفاع قبتها على القباب الأخرى هو للإشارة إلى أنها حجرة السلطان. تم تجديد قبتها على الطراز المملوكي في عهد السلطان سليم الأول (١٥١٢–١٥٢٠) بعد عودته من سفرته إلى مصر عام ١٥١٧ م، كما أدخلت عليها تعديلات في العصور اللاحقة.

وجدير بالذكر أن السلاطين العثمانيين كانوا يبيتون في الحجرة الخاصة، ويمارسون حياتهم اليومية فيها. وذلك ابتداء من عصر السلطان محمد الفاتح (١٤٥١–١٤٨١ م) إلى أواخر النصف الثاني من القرن السادس عشر. وفي عهد السلطان مراد الثالث (١٥٧٤–١٥٩٥ م) صار السلاطين يمضون أكثر لياليهم في قسم الحريم بحجراتهم الخاصة بهم، وبقيت الحجرة الخاصة لممارسة حياتهم اليومية. وكانت العادة أن تقام طقوس جلوس السلاطين الجدد على كرسي العرش في هذه الحجرة، حيث يلبس السلطان تاج السلطنة ويستقبل التهاني، ثم يلي ذلك إجراء المراسيم الرسمية أمام باب السعادة.

أما العرش السلطاني الموجود حاليا في الزاوية الشمالية من المدخل، فقد صنعه كبير صيّاغي القصر الدرويش ''زيللي محمد'' والد ''أوليا جلبي'' في عهد السلطان مراد الرابع (١٦٢٣–١٦٤٠ م)، وهو يشبه الخيمة ويقوم على أربع أعمدة وقبة ذات مرآة. وقد تم تزيين سقف القبة من الداخل بأفضل النقوش وأروعها، وذلك في القرن السابع عشر؛ بينما نقش على القسم الخارجي من القبة كتابة تقول ''مسند القبة، سرير السلطان، صاحب المقام الأعلى''. وفي ذلك العصر كانت

شخصيتان مهمتان تخدمان في قسم الحجرة الخاصة، وهما كبير محافظي الأسلحة وكبير رجال المعية. لمنمة مرسومة من قبل الرسام "لوفني" تعود إلى عهد السلطان أحمد الثالث. طوب قابي، رقم: ٢١٦٤-٢. b

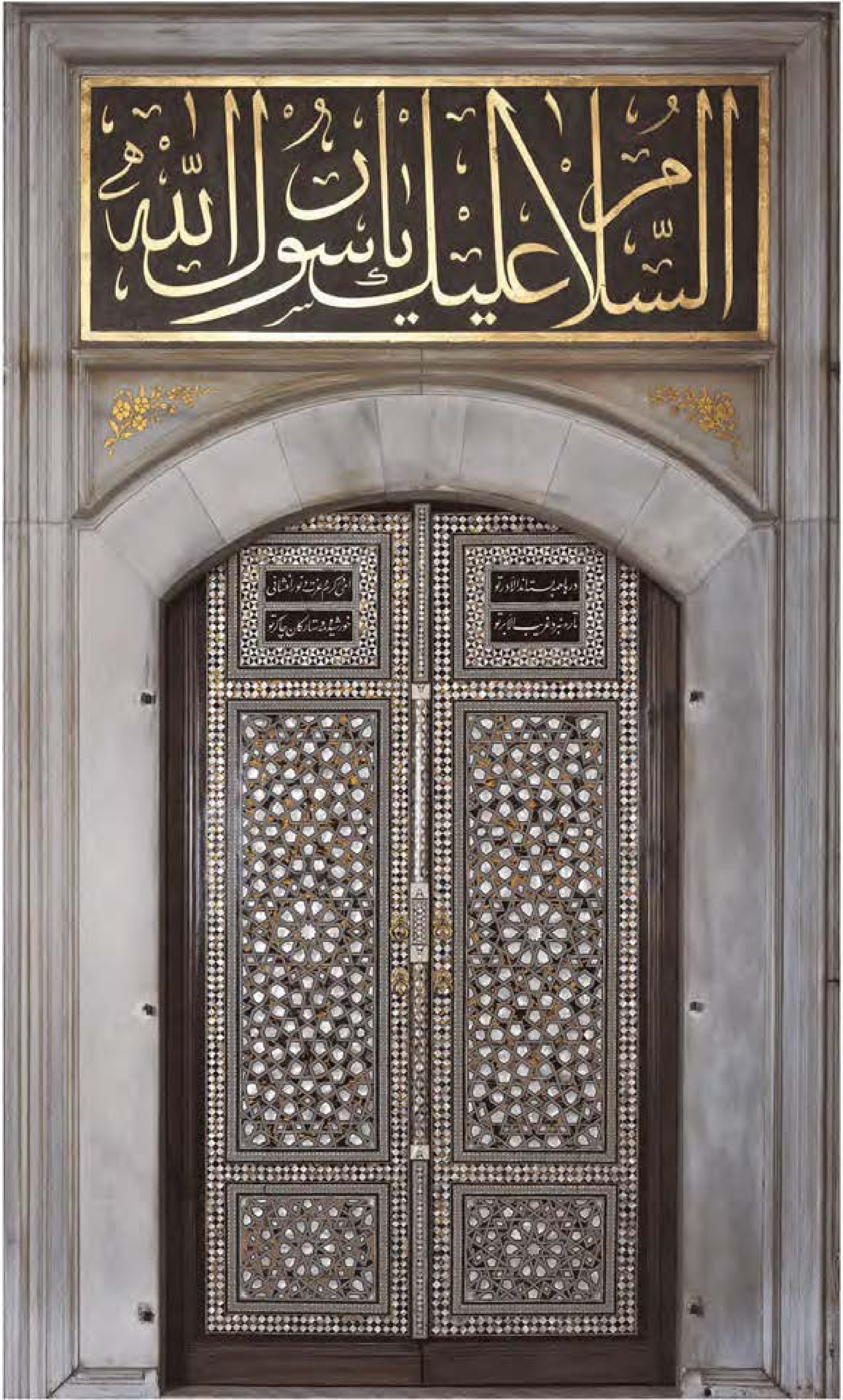
السلام عليك يا رسول الله

المقصورة الفضية في الحجرة الخاصة. صندوق البردة الشريفة وكرسي العرش داخل المقصورة.

بردة السعادة، إضافة إلى أمانات مباركة أخرى، تحفظ في خزانة داخلية غطاؤها من حديد وراء الكرسي وفوق رأس السلطان. وفي نفس الجهة طاقة صغيرة في الجدار بحجم المحفظة الداخلية للأمانات المباركة. وقد كتب السلطان أحمد الأول (١٦٠٣-١٦١٧) في يومياته أن بردة السعادة وضعت في صندوق مزخرف بجانب العرش السلطاني فوق رف خصص لها.

وبعد أن غادرت العائلة السلطانية قصر طوب قابي إلى قصور البوسفور خصصت الدائرة بكاملها للأمانات المقدسة وجعل العرش السلطاني موضعا لها حيث تربعت عليه. وبعد ذلك التاريخ أنشأ السلطان محمود الثاني (١٨٠٨-١٨٣٩) في الزاوية مقصورة فضية من ست شبكات. وقد وضعت بردة السعادة داخل المقصورة الفضية في صندوق ذهبي كبير على منصة مرتفعة. والمقصورة مغطاة من الجهة الأمامية والخلفية بشبكة مزخرفة بخيوط فضية مكتوب عليها "اللهم صل على نبي الرحمة، اللهم صل على شفيع الأمة، اللهم صل على كاشف الغمة، اللهم صل على مجلي الظلمة، اللهم صل على مولي النعمة، اللهم صل على معطي الرحمة" وآيات من سورة آل عمران.

والجدران الداخلية للحجرة مزخرفة بلوحات الخزف الإزنيكي التي أمر السلطان محمد الثالث (١٥٩٥-١٦٠٣) بوضعها، وقد كتب على شريط خزفي "قصيدة البردة"، وفي وسط القبة آيتان من سورة الأحزاب رقم (٤٦-٤٧)، وفي ذيل القبة الآيات الثمانية الأولى من سورة الفتح.

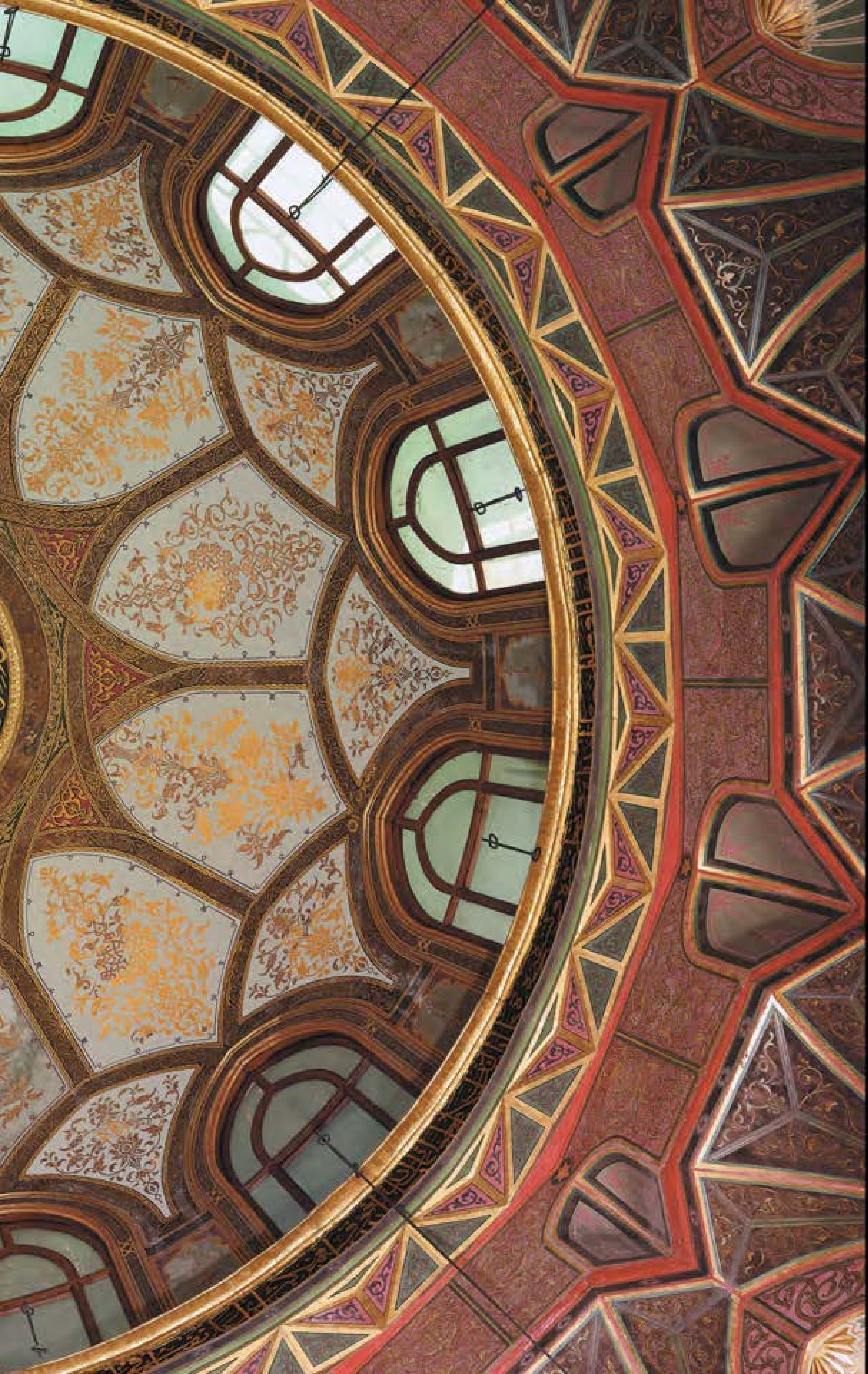

قبة الحجرة الخاصة في القرن السادس عشر تم ترميمها طبقا للطراز المملوكي في الزخرفة والعمارة. تم تجديد القبة سنة ١٩١٦.

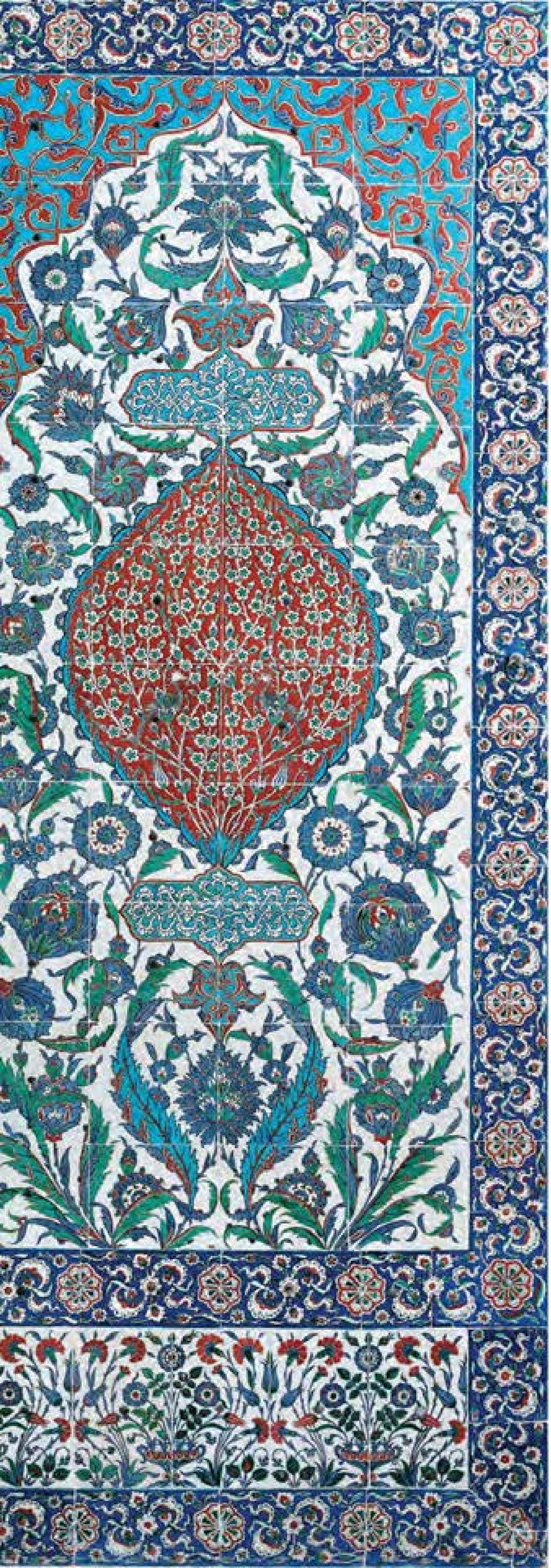

لوحة خزفية في الحجرة الخاصة، صناعة مدينة إزنيك التركية.

وعلى شمال باب المدخل موقد من الرخام المصنوع حسب نمطين من أنماط العمارة الأوروبية المشهورة في ذلك العهد، وهما طراز "باروك" و"أمبير"؛ وعلى أطراف الموقد وأعلاه زخارف ونقوش على طراز "روكوكو"، وفي وسطه طغراء السلطان محمود الثاني (١٨٠٨-١٨٣٩). ويحتفظ بالأمانات المقدسة في خزانة كبيرة بجدار الحجرة الخاصة وداخل المقصورة الفضية.

وفي العهد العثماني كان في دائرة بردة السعادة صندوق يحتوي على خشب العود والعنبر والبخور والمباخر ومحافظ ماء الورد، ورفوش ومكانس مزينة بالقماش الرقيق. وكانت عملية تنظيف الأرضية والجدران تتم مرة في الأسبوع؛ بيد أن تجلية أطراف الأبواب والنوافذ وصقلها بالزيت لكي تلمع كان يتم مرة كل واحد وعشرين يوما. وأثناء هذه العملية تخرج الأشياء المباركة المذكورة من الخزانة، ثم تعاد إليها بعد تنظيفها من قبل خدام الحجرة.

واليوم، صندوق بردة السعادة والعرش السلطاني الموجود داخل المقصورة الفضية، والمحفظة التي تضم اللواء الشريف، وسيف النبي ﷺ وقوسه وترسه... كل ذلك يمكن زيارته ورؤيته من خلف الحائل الزجاجي الفاصل بين الحجرة الخاصة وقاعة العرض (العرض خانه).

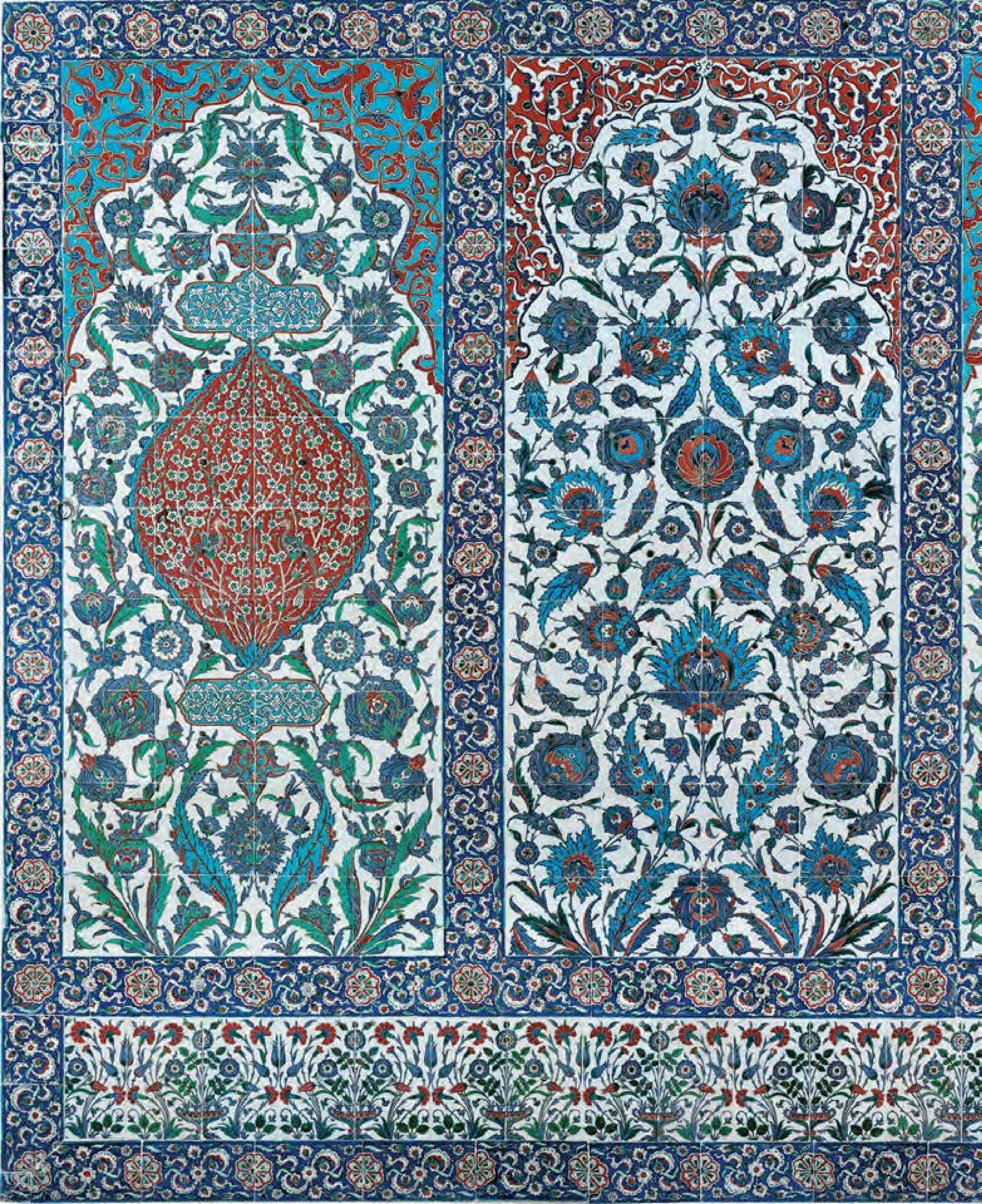

حجرة مناديل البردة (دَسْتِمال)

سميت هذه الحجرة بحجرة الدستمال، أي المناديل؛ لأن مناديل بردة السعادة كانت تصنع في هذه الغرفة حيث تتكون من قماش رقيق مزركش يكتب في وسطه وأطرافه أبيات من الشعر في مدح الرسول ﷺ، وتوزع على زوار دائرة البردة الشريفة، وذلك في القرن التاسع عشر، وسيأتي تفصيل ذلك لاحقا.

أدخلت على حجرة مناديل البردة تعديلات كثيرة على مدى الأزمان؛ فقد كانت طوال عدة قرون مخصصة لمبيت أفراد الأندرون الذين يقومون بخدمة السلطان ويتدربون على تدبير شؤون الحكم بالقرب منه، وكان عددهم يقارب الأربعين فردا. والداخل إلى حجرة مناديل البردة يلاحظ على جدرانها عدة كتابات، أقدمها كتابة تتعلق بإصلاح الحجرة ويعود تارخها إلى ١٠٢٧ هـ (١٦١٧-١٦١٨ م). كما يوجد كتابتان تعودان إلى تاريخ ١٠٤٧ هـ (١٦٣٧- ١٦٣٨ م) و ١٠٤٩ هـ (١٦٣٩- ١٦٤٠ م)، وذلك في عهد السلطان مراد الرابع (١٦٢٣-١٦٤٠)، وتتحدثان عن إنشاء قبة للحجرة الخاصة وتزيين جدرانها بالخزف المزخرف بأشكال بديعة. أما الكتابات الأخرى فهي تعود إلى تواريخ لاحقة وتتحدث عن الإصلاحات والتعديلات التي أدخلت على حمام السلاحدار وحجرة كاتب سر السلطان. كذلك كتابات أخرى تتحدث عن الأوقاف المالية التي قام بها السلاطين من أجل إصلاح وتزيين هذا المكان.

فتحت حجرة مناديل البردة أبوابها للزوار عقب الترميمات عام ١٩٩٧ في شهر رمضان المبارك. ويمكن للزائر أن يرى بين الأمانات المباركة الموجودة في حجرة مناديل البردة نماذج لبعض السور التي كتبت من قبل كتّاب الوحي في عهد الرسول الأعظم عليه الصلاة والسلام مثل سورتي الهمزة والتكاثر، إضافة إلى رسائل أرسلها النبي ﷺ إلى مسيلمة الكذاب والمنذر بن ساوى أمير منطقة الإحساء، إلى جانب المصحف الشريف الذي كان -كما تقول الروايات- سيدنا عثمان ﷺ يقرأ فيه أثناء استشهاده. (وجدير بالذكر أن هذه الآثار المباركة لا تعرض على الزوار إلا في شهر رمضان المبارك من كل سنة ثم تعاد إلى المستودع لكي لا يلحقها أي ضرر بسبب فلاشات آلات التصوير). وكذلك يوجد في هذه الغرفة عصا سيدنا موسى عليه السلام، وطنجرة حجرية لسيدنا إبراهيم عليه السلام، وسيف داوود عليه السلام، وعمامة أويس القرني رضي الله عنه، واللحية الشريفة، وأثر القدم الشريفة، وسيوف سيدنا عثمان وسيدنا عمر رضي الله عنهما، وأباريق لماء زمزم، وكسوة الكعبة المعظمة، وعمامة سيدنا يوسف عليه السلام، ومناديل مكتوب على أطرافها ووسطها أبيات من الشعر وغير ذلك من الآثار.

قاعة العرض (عرض خانه)

يدخل إلى هذه القاعة من الباب الأول الواقع إلى يمين قاعة النافورة. كانت قاعة العرض تسمى حسبما تذكر المصادر التاريخية "أرسلان خانه"، أي عرين الأسد، لأن أمهات السلاطين كنّ يخاطبن أبناءهن السلاطين في هذه القاعة بـ "يا أسدي". أما النوافذ الموجودة في القبة فقد فتحت في القرن السادس عشر والثامن عشر، وهناك لوحة كتب عليها آيات من القرآن الكريم. في هذه القاعة كان السلطان يلتقي مع ضباط الأندرون ويستمع إلى مطالبهم أو شكاواهم، لذلك سُميت بـ "عرض خانه" أي قاعة العرض. وكذلك حينما كان الصدر الأعظم وأركان الدولة يأتون لمقابلة السلطان كانوا ينتظرون في هذا المكان حيث يقدم لهم المسك والعنبر والقهوة ومعجون السلطان -وهو نوع من الحلوى يصنع من عدة مواد عطارية- ريثما يؤذن لهم بالدخول إلى حضرة السلطان. كما كانت العادة أن يمثل في هذا المكان كل من الصدر الأعظم وكبار رجالات القصر لتقديم التهاني بحلول يوم زيارة بردة السعادة، وذلك اليوم هو الخامس عشر من شهر رمضان المبارك، وغيره من الأيام الفضيلة. وبما أن هذه القاعة تحتوي على محفظة الحجر الأسود، ورسالة سيدنا رسول الله ﷺ إلى المقوقس عظيم القبط، وأثر قدمه المباركة، وختمه عليه الصلاة والسلام، وتراب قبره الشريف، ورباعيته ومحافظ اللحية الشريفة، ومحافظ لواء السعادة والقرآن الكريم، فهي مفتوحة للزوار على الدوام.

◄ المناديل السلطانية التي تشرّف بملامسة البردة الشريفة، توزع على الزوار وعشاق الحبيب المصطفى، يكتب عليها بعض الأبيات التي تعبر عن هذا الحب العميق.

خزانة الأمانات (خزانة السلاحدار)

يدخل إلى هذا القسم من قاعة العرض، حيث يوجد فيه أشياء قيمة كان السلاطين يستعملونها، إضافة إلى أشياء كانت تستخدم في الحجرة الخاصة من شمعدانات وجواهر كريمة وكتب ثمينة وأوان مختلفة وأسلحة ودراهم ذهبية وفضية؛ كل ذلك كان ضمن مسؤولية "السلاحدار"، أي كبير محافظي الأسلحة. وكان يدعى هذا المكان بـ "قسم الشمعدانات" حتى أوائل القرن العشرين، وقد استعمل لأغراض متعددة في أوقات مختلفة عبر التاريخ العثماني.

١٣٠٧

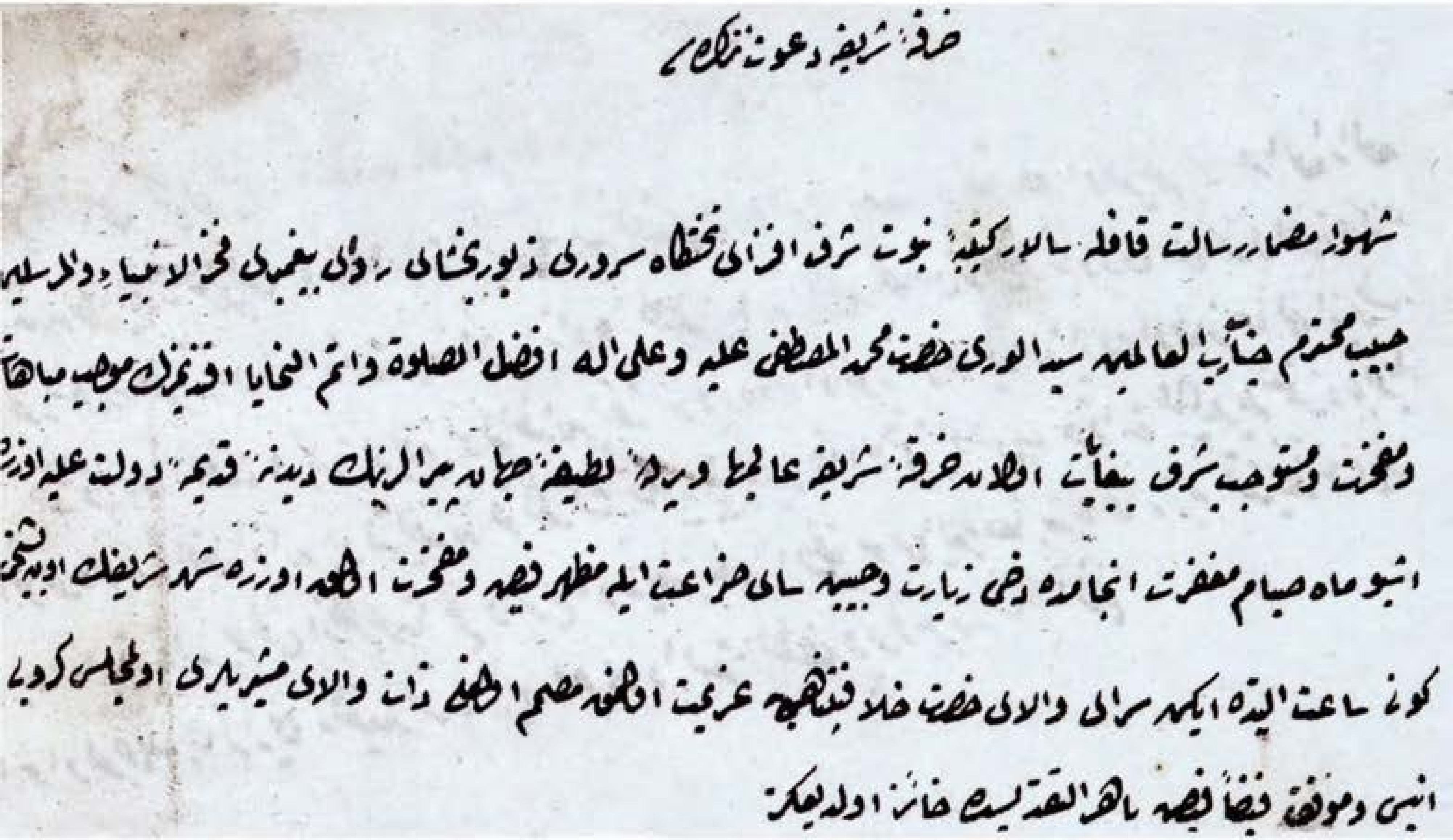

دائرة بردة السعادة
وزيارتها في شهر رمضان المبارك

▲ نمـوذج مـن الدعوة التـي كانت ترسـل لحضور طقـوس زيارة بردة السعادة في شـهر رمضان المبارك.

شهد قصر طوب قابي في عهد السلطان سليم الأول (١٥١٢-١٥٢٠) عادات جميلة وتقاليد جديدة، منها يوم إخراج وتقبيل بردة السعادة. ففي عام ١٥١٧ م وما تلاه من الأعوام كانت العادة أنه حينما يقترب اليوم الخامس عشر من شهر رمضان المبارك، ترى كل سكان القصر وقد سرت في أبدانهم خفة وحركة ونشاط حيث ترسل قوارير مليئة بماء البخور إلى الباشوات والوزراء وشيخ الإسلام والوزير الأعظم وكبار رجال الدولة والعلماء المدعوين لحضور حفل تحية بردة السعادة. في هذا اليوم، الكل في منتهى البهجة والفرح حيث يرتدون أزياءهم الجديدة التي تليق بمقام الزيارة

شمعدان فضي للبخور، قطع من البخور الأسطوانية، طوبقابي، رقم: ٢١/ ١٩٧

وشرفها دون أن يضعوا ميداليات أو أوسمة على ملابسهم، وذلك لكيلا تعلق بصرر البردة الشريفة أثناء الانحناء للتقبيل فتنــزلق وتسقط من مكانها.

ويعطر المكان بماء البخور المركب من المواد التالية: ٢٠٠ درهم من الصندل الأصفر، ٢٠٠ درهم من زهرة بخور مريم، ١٨٠ درهم من خشب العود، ١٤٠ درهم من أسليند، ٧٠ درهم قرموز، ٣٠ درهم لوطور، ٥٠ درهم بذر بصل، ٢٠ درهم عرق سمسم، ١١ درهم إصلاح المسك. وتوضع العقاقير في الصرر وتربط، ويؤتى بإناء يوضع فيه ١٥ أوقية من ماء الزهر، ٢١٢ أوقية من ماء الورد. ثم تسكب العقاقير في الإناء ويغطى فمه ويغلى على النار مدة اثنتي عشرة ساعة، ثم ينــزل ويترك حتى تصل درجة حرارته إلى مستوى معقول، ويؤخذ السائل الحاصل ويوضع في إناء آخر. ثم يتم إحضار ٣٠ درهم صندل أصفر، ٢٠ درهم بخور مريم، ١٨ درهم من خشب العود، ٢٠ درهم مسحوق كلنباك، ١٥ درهم أسليند، وتوضع هذه المواد في صرر وتربط، ثم تغلى على النار ١٢ ساعة أخرى، ثم تنزل وتبرد، وبعد ذلك يضاف إليها ١,٥ مثقال من المسك، ١,٥ أوقية من ماء الورد، ويوضع الجميع في إبريق ويخضّ حتى تختلط ببعضها جيدا. وكلما خض الإبريق أكثر كلما كانت رائحة البخور أفضل. وقد اكتشف هذا النوع من البخور مصطفى آغا الأنقروي وتم تخصيصه للقصر فحسب. وبما أن إعداد هذا البخور صعب ويحتاج الى تكاليف مالية كبيرة كانت تجمع لأجله تبرعات من سكان القصر.

وفي اليوم الرابع عشر من شهر رمضان المبارك ينقل الصندوق الذي يحتوي على بردة الرسول عليه الصلاة والسلام ذات الأكمام الطويلة والواسعة إلى ''قصر رَوَان''، ويكنس جميع أنحاء دائرة بردة السعادة جيدا، وتغسل الجدران بماء الورد بطاسات من الفضة، وتصقل الأعمدة ثم تبخر بالمسك والعنبر ويوقد بخور العود. وعمليات التنظيف والتزيين هذه تُجرى من قبل خدام الحجرة الخاصة. وبعد إكمال عملية التنظيف تعاد الأمانات المباركة إلى مكانها بالدعاء والصلوات الشريفة تحت إشراف رئيس الحجرة الخاصة برفقة ما يقارب ١٥ شخصا من خدام الحجرة الخاصة.

وبحلول اليوم الخامس عشر من شهر رمضان المبارك، وقبل صلاة الظهر يجتمع أركان الدولة والعلماء وقادة فرق الإنكشارية وفرق الفرسان أمام باب السعادة المعروف بباب الأغوات البيض منتظرين مقدم الصدر الأعظم. ويخرج شيخ الإسلام من غرفته ويسير نحو جامع أياصوفيا لأداء صلاة الظهر. وما أن يبلغ نبأ وصول شيخ الإسلام إلى الجامع حتى يأتي الصدر الأعظم إلى باب السعادة ويتوجه مع رفاقه من رجالات الدولة إلى الجامع. وبعد أداء الصلاة يسيرون جميعا في موكب عظيم وسط مدائح وصلوات نبوية شجية حتى يصلوا قاعة العرض، فيجدوا السلطان وقد صلى الظهر في حجرته الخاصة وجلس على كرسي العرش ينتظر قدومهم.

وينبغي أن نذكّر أن خدام الحجرة الخاصة يأتون إلى الحجرة الخاصة قبل صلاة الظهر

بساعتين ليرفعوا بردة السعادة مع صندوقها الخاص من فوق الطاولة ويضعوها على وسائد حريرية زخرفت بخيوط فضية أجمل زخرفة وزينت أروع تزيين، ويلي ذلك تلاوة متواصلة للقرآن الكريم. وبعد الصلاة يدخل السلطان حجرة بردة السعادة يرافقه شيخ الإسلام والصدر الأعظم والوزراء والعلماء وكبار قادة الإنكشارية وقادة فرق الفرسان وأمين الأسلحة وكبير الحجّاب ورئيس الخدام وأمين المفاتيح بانتظام وحسب ترتيب المناصب حتى تمتلئ حجرة السعادة بكبار أركان الدولة.

ويفتح صندوق بردة السعادة بمفتاح من الذهب يحمله السلطان، ويخرج منه دُرّج من الذهب ملفوف بسبع صُرَر من الحرير المخملي ذي اللون الأخضر المزركش زركشة ناعمة بالفضة. وللدرج فتحتان من الأعلى تفتحان من قبل السلطان بمفتاح آخر من الذهب حيث تخرج بردة السعادة ملفوفة بسبع صرر أيضا. وأثناء هذه العملية يجثو كل من إمام السلطان الأول والإمام الثاني وإمام الحجرة الخاصة والمؤذنون ذوو الأصوات الندية على ركبهم يتلون القرآن الكريم دون انقطاع.

وأخيرا تظهر بردة السعادة، فيلمسها السلطان بإجلال بالغ ويقبلها ويمرغ بها وجهه وعينيه ويطلب الشفاعة من حضرة الحبيب المصطفى ﷺ، ثم يتقدم شيخ الإسلام والصدر الأعظم ومن أومأ إليه السلطان، فيقبلونها بفائق الاحترام ويمرغون بها وجوههم وأعينهم واحداً بعد الآخر.

ثم يؤتى بطست من ذهب ويملأ بماء زمزم ويبلّ ذيل بردة السعادة فيه. وفي هذه الفترة يتلو الحاضرون آيات من الذكر الحكيم سراً ويتمتمون بالصلوات على الحبيب المصطفى عليه الصلاة والسلام.

ماء زمزم الذي كان يبلّ فيه ذيل بردة السعادة، كان يوضع في زجاجات صغيرة تختم بالشمع الأحمر وتوزع على كبار الزوار.

بعد ذلك يتم إخراج ذيل البردة الشريفة من الطست الذهبي ويجفف بدخان العنبر، وهكذا يكون المكان الذي لامسته الوجوه قد غسل أيضا. أما بالنسبة لما تبقى في الطست من ماء زمزم فيوضع في قوارير صغيرة ويختم فمها لتُقدَّم إلى كبار رجال الدولة كهدايا، فيكون ذلك الماء فاتحة إفطارهم في المساء؛ كما يسقون منه مرضاهم بنية الشفاء متضرعين إلى المولى تعالى كي يجعلهم من السعداء الذين نالوا شفاعة الرسول ﷺ يوم المعاد. وحينما تنتهي الزيارة تعاد البردة الشريفة إلى صندوقها بعد أن تُصرّ في صررها المخملية السبع، ويقفل عليها من قبل السلطان ويوضع الصندوق في مكانه.

خزانة صغيرة تقع وراء المقصورة الفضية التي يحفظ فيها صندوق بردة السعادة في الحجرة الخاصة.

هذه العادة، أي عادة بلّ ذيل البردة الشريفة في ماء زمزم وما يليها من طقوس تغيرت فيما بعد، حيث صنعت مناديل شفافة معطرة بماء البخور كُتب عليها أبيات من الشعر في مدح الرسول ﷺ؛ وجعل السلطان في مثل هذه المناسبات يلامس المناديل الشفافة (دَسْتِمال) بالبردة الشريفة ويهديها للزوار. ومن الأبيات المكتوبة على مناديل البردة المعطرة:

تلك بردته...
كلُّ الشفاه لِلَثْمها ظامئة...
كلُّ الوجوه لِلمسها عاشقة...
تعالَ اقترب... قبِّلْ وابتهجْ،
وشفاعتَه فَارْجُ وانتظرْ...

وبعد انتهاء طقوس زيارة بردة السعادة ينسحب السلطان للاستراحة؛ وفي المساء تقدم مأدبة الإفطار الخاصة ببيان أهمية هذا اليوم السعيد. وكان من العادة أن يطبخ خدام الأندرون طعاماً خاصاً يقدم إلى الضيوف في هذه المأدبة، وهو عبارة عن بَيض مخلوط بالبصل يستمر طبخه مدة تقارب ثلاث ساعات.

ومن الجدير بالذكر أن زيارة بردة السعادة كانت تتم في شهر رمضان المبارك من كل عام، واستمرت هذه العادة قرونا عدة شملت ما قبل إعلان فرمان "التنظيمات" (١٨٣٩ م) وما بعده، كذلك استمرت في العهد الذي عرف بعهد "المشروطية". وقد شارك الكاتب والأديب الكبير "خالد ضياء اوشكليكيل" في هذه الزيارة أربع مرات كموظف رسمي. يقول: "رأيت الوزراء والعوام من الناس وقد أتوا من أقصى البلاد وأدناها، واستمعت إلى صوت الأذان المرتفع من المآذن، وشهدت تلاوة القرآن بحضور السلطان، وشاهدت البردة النبوية الشريفة من بعيد؛ فلا تسأل عن عظمة ذلك المشهد العجيب، إذ رأيت أناسا ممن أتيحت لهم فرصة الاقتراب من بردة السعادة يمرغون وجوهم بها... ورأيت عيونا دامعة وقلوبا لله خاشعة ووجوها مستبشرة... وأحسست في قرارة نفسي أنني ابتعدت كل البعد عن الهواجس السيئة، وشعرت بلذة روحية ملكت عليّ كل كياني." بهذه العبارات الجياشة عبر الكاتب الشهير عن التأثير المعنوي العجيب الذي تحدثه الأمانات المباركة في القلوب.

ويحكي "علي رضا بك" في مذكراته "إسطنبول في القرن الثالث عشر الهجري" أنه كان الإفطار يقدَّم لرجال الدولة والعلماء في قسم "الأندرون"؛ وبعد اليوم الخامس عشر من شهر رمضان تفتح الأمانات المقدسة أبوابها للزوار المحبين لرسول الله ﷺ. كان الضيوف ينتظرون أذان المغرب في جناح الأمانات المباركة بخشوع، وعقب الأذان يفطرون على ماء زمزم ويصلون المغرب. وبعد ذلك ينتقلون إلى قاعة أمين الخزانة لتناول الطعام اللذيذ والشهي. ويأتي كل واحد من أفراد الأندرون بنوع من الطعام والحلويات أو المشروبات التي صنعها بيده الماهرة. وبعد الإفطار تقام صلاة العشاء والتراويح في حجرة بردة السعادة حسب تقاليد الأندرون مع الابتهالات والأناشيد والمدائح النبوية.

ويصف "روشن أشرف" المشاعر التي أحس بها في إحدى صلوات التراويح التي أداها في حجرة بردة السعادة فيقول:

"ارتفع صوت المؤذن من حديقة الخُزامَى، فاختلط صوته الندي بأصوات البلابل الساحرة، فأحسسنا بسعادة غامرة وخشوع عميق يتناثر على رؤوسنا كماء الورد. وسرنا تحت أشجار الدُّلب

المتكاتفة الشامخة، فامتلأ قلبي بذكريات تاريخ مجيد قد أفل. وبدت الفوانيس الحمراء عبر الدهاليز المظلمة وكأنها نجوم تتلألأ في كبد السماء. فأسندت ظهري إلى عمود رخامي شهد مجد السلاطين قرونا وقد زين بالحرف الرائع. كان صوت القرآن الشجي ينفذ مباشرة إلى قلبي فأحس بربيع العبادة يغمر كل كياني.

بعد ذلك قام الحاضرون ووقفوا صفوفا بين الأعمدة لأداء صلاة التراويح. بين كل ركعتين كان المؤذنون ينشدون المدائح النبوية والصلوات الشريفة بألحان ومقامات مختلفة؛ مرة بمقام الصبا ومرة بمقام الهزام وأخرى بمقام العجم ثم الرست... فغرقت في بحر من النشوة والهيام ونسيت كل شيء حتى الموت، وقلت في نفسي في أيّ عصر أنا يا ترى؟ إذ ما أن يمس كتفي كتف أحد ضباط الأندرون الواقف بجانبي حتى أشعر كأنني لمست أحد الجنود الذين أتوا من الديار المصرية؛ وما أن أسمع أنفاس الشيخ ذي اللحية البيضاء الذي يقف بجواري أثناء القيام والركوع والسجود، حتى يخيل إليّ أنها أنفاس بطل شهد معركة زيكتوار في قلب أوربا؛ وما يكاد يبلغني صوت الإمام حتى يهيأ إليّ أنه صوت المجاهدين السائرين إلى فتح بلغراد؛ وبعد كل سلام أتخيل وكأنني أنظر إلى أحد السلاطين السابقين، وقد وضع سبحته على ركبته يحاسب نفسه ويستغفر ربه ويبتهل إليه بذلّ وانكسار. كل هذه الأطياف مرّت أمامي في هذا المكان الساحر كشريط فيلم، رأيتها وأحسست بها، والفضل في ذلك كله يعود إلى صاحب الذكريات المباركة، الحبيب المصطفى عليه الصلاة والسلام.

الحق يقال، لقد جاب العثمانيون الصحارى والوديان كعشاق متيمين ليأتوا بذكريات الرسول الكريم ﷺ إلى إسطنبول، المدينة التي تنبأ عليه الصلاة والسلام بفتحها قبل قرون... لا سيما بردة السعادة التي تشرفت بملامسة بدن أعظم رسول وأعظم إنسان عاش على وجه الأرض. بهذه التصورات اقتربت من بردة السعادة فتذكرت أصحاب رسول الله الكرام، فتساءلت فيما بيني وبين نفسي، إذا كانت هذه هي مشاعرنا بعد أكثر من ألف عام عند آثار الرسول ﷺ، فكيف كانت يا ترى مشاعر الصحابة الكرام، في أول صلاة تراويح، وفخر الكائنات ﷺ يؤمهم بنفسه، والإيمان حي في القلوب، تحت نجوم سماء الحجاز، وعلى رمالها التي أخذت تخفّ حرارتها؟! يا إلهي!

كنا نؤدي صلاتنا مغمورين بروائح العنبر الساحرة. وكنا نسمع -ولا سيما أثناء السجود- خرير ماء يأتي من بعيد. الروائح العنبرية كانت تأتي من مباخر فضية، والمياه تجري من ميزاب رخامي مزين بالنقش العربي. وفي هذا الجو وعند بردة المصطفى ﷺ كنا نحس وكأننا نسمع خرير الكوثر ونشم رائحة الفردوس.

وكان المؤذن ينادي في العشر الأواخر من شهر رمضان المبارك عند ختام صلاة التراويح: "الوداع الوداع يا شهر رمضان! الوداع الوداع يا شهر البركة والغفران!" ويكرر الجميع كلامه وسط دموع ساخنة وشوق حزين.

في هذا الجو الروحاني الغامر لم أشأ أن أطلب من المولى المتعالي شيئا يتعلق بحياتي الدنيوية الفانية؛ فالدنيا وشؤون الدنيا بدت لي ضئيلة جدا، فتركت نفسي في ذلك البحر اللانهائي من النشوة والسكينة والاطمئنان."

تلاوة القرآن الكريم في دائرة البردة الشريفة

يقول الكاتب التركي الشهير ''يحيى كمال بياتلي'' في كتابه ''عزيز إسطنبول'' (اسطنبول العزيزة): ''أثناء رحلاتي اكتشفت حقيقة لا تقبل مراء، وهي أن الدولة العثمانية تقوم على أساسين معنويين. الأساس الأول: صوت الأذان المرتفع فوق مآذن أياصوفيا بأمر السلطان محمد الفاتح، وما زال يرتفع حتى اليوم. والأساس الثاني: تلاوة القرآن الكريم بين يدي بردة السعادة بأمر من السلطان سليم الأول، وما زال يتلى حتى اليوم. فأنتم يا أبطال ''أسكي شهر'' و''أفيون'' و''قره حصار'' و''قارص'' قاتلتم في حرب الاستقلال من أجل الحفاظ على هذين الأساسين''.

إننا لا نعرف بالتحديد تاريخ بدء تلاوة القرآن الكريم في دائرة بردة السعادة، إلا أننا نعلم عموما أنها بدأت في الربع الأول من القرن السادس عشر، وما زالت حتى يومنا الحاضر. كان أربعون حافظا يتناوبون تلاوة القرآن الكريم في هذا القسم، منهم السلطان سليم نفسه بنية استمطار الخيرات من جانب الرحمة الإلهية ودفع البليات. وقد تعرض هذا التقليد السامي للانقطاع في بعض الفترات ولأسباب مختلفة إلا أنه لا يزال قائما إلى اليوم.

إن من أروع الصور التي يقرأها القارئ عن دائرة بردة السعادة والأمانات المقدسة ما كتبه المؤرخ التركي ''أحمد رفيق بك'' في ''جريدة الوقت'' يوم ١٨ شباط/فبراير ١٩١٨ م عقب وفاة السلطان عبد الحميد الثاني وهو يصور أحداث تشييع جنازته تحت عنوان ''أمام جثمان السلطان عبد الحميد الثاني''. والنص فيما يلي: